# في رحاب الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ فوزي آل سيف

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

# بين يدي القارئ والقارئة

قبل أحد عشر عاما صدر كتاب (رجال حول أهل البيت)، وبعده بثمانية أعوام صدر كتاب (نساء حول أهل البيت)، وعندما أريد إعادة طباعة الكتابين رأى بعض الإخوة تجزئة هذين الكتابين بحيث يصدر كتيب حول كل معصوم، وأصحابه (رجالا ونساء)، فكان هذا الذي بين يديك، وهو يحقق عدة أمور، منها سهولة تداول كل قسم من أقسامه، بخلاف ما إذا كان أربعة مجلدات كبيرة، ومنها أن الفئة المخاطبة به هي الفئة الشابة وهم يقبلون على الكتاب الصغير حجما، أكثر من إقبالهم على كبير الحجم، ومنها أنه من خلال هذا الجمع سيتم الإحاطة بحياة المعصوم من جهات متعددة.. لكل هذه الأمور، تم تنسيق الكتابين بهذا النحو.

وها هي بين يديك إضمامة عطر من بستان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وأبنائه الطاهرين عليهم السلام تحتوي على حياة خمسة من الرجال الرساليين، وخمس من المؤمنات القانتات.

# موجز عن حياة الإمام الحسين بن علي

أبي عبد الله (الشهيد) عليه السلام ٤ ـ ٦١ هـ

ولد الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام سنة ٤ هـ. واستشهد سنة ٦١ هـ.

بالغ النبي صلى الله عليه وآله في الاهتمام به وبأخيه الحسن منذ ولادتهما. باعتبارهما الامتداد الطبيعي له حيث ستكون ذرية الرسول من طريقهما، والامتداد المعنوي والرسالي حتى لقد أثر عنه صلى الله عليه وآله قوله:

«حسين مني وأنا من حسين»، ولقد نقل المحدثون من الفريقين من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ما لا يحصى كثرة في فضله وأخيه الحسن عليهما السلام.

كان دوره أيام أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ظلاً لدور الوالد، ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام أيام أبيه كان (صامتا) أي مع فعلية دور الإمام السابق، لا يبقى للإمام اللاحق من دور خاص به.

مع شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بدأ الإمام الحسين يتحمل مسؤولية أكبر في عونه لأخيه الإمام الحسن عليه السلام ومع شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتولي الحسين مقاليد الإمامة، أيام معاوية. عمل في اتجاهات عديدة لصيانة الإسلام من التحريف الأموي، فمن جهة عمل على مقاومة السياسة الأموية الرامية إلى إسقاط النموذج العلوي في الحكم والإيمان بإرساء (سنة الشتم ) لأمير المؤمنين عليه السلام والتعمية على فضائله وصفاته من خلال حرمان رواة أخباره من

عطائهم وأحياناً بإيذائهم وهدم بيوتهم. عمل على مقاومة ذلك فكان دائم التحديث بسيرة أمير المؤمنين وكان يجمع الرواة في موسم الحج لكي يحدثوا بفضائل أمير المؤمنين وسيرته، وينقل بعضهم لبعض ما يعلمون.

كان يعارض معاوية ويكشف حقيقته للناس من خلال التنديد بقتله لأصحاب أمير المؤمنين كحجر بن عدي وبالرغم من دعوة البعض الإمام الحسين عليه السلام للثورة على معاوية إلا أنه كان لا يستجيب، لأن الظرف لا يسمح بذلك، ولأن بينه وبين معاوية عهداً.

عندما هلك معاوية في سنة ٦٠هـ، أرسل يزيد للوالي على المدينة (الوليد بن عتبة) بأن يأخذ البيعة من الناس عموماً ومن الحسين خصوصاً، ولم يكن الحسين بالذي يبايع يزيد وهو (شارب الخمر عامل بالفسق والفجور)، فرفض بيعته وخرج إلى مكة المكرمة وكان ذلك التاريخ بداية الانطلاق الثوري الذي انتهى إلى عاشوراء وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة في الثامن والعشرين من رجب سنة ٦٠هـ.

عند وصوله إلى مكة تحول الحسين عليه السلام إلى محور لتوجهات المسلمين، حيث كانوا يرونه أفضل الناس وأولى الناس بقيادة المسلمين. وجاءت الكتب للإمام من الكوفة داعية إياه للنهوض بالأمر وأن يأتي إلى الكوفة فقد (اخضر الجناب وأينعت الثمار فإنما تقدم على جند لك مجندة).

واستجابةً لرسائل أهل الكوفة أرسل الإمام الحسين عليه السلام لهم ابن عمه (مسلم بن عقيل)، ومع أن أهل الكوفة قد أقبلوا عليه في البداية مبايعين، إلا أن الموقف تحول مع مجيء عبيد الله بن زياد إلى الكوفة حيث ضم يزيد إليه الكوفة بعدما كان والي البصرة بتخطيط من سرجون الرومي وهو أحد المتسللين إلى مركز القرار في البلاد

الإسلامية منذ أيام معاوية.

في ذي الحجة من نفس السنة غادر الإمام الحسين مكة المكرمة بعدما علم أن هناك خطة لاغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فقصد العراق. وفي الطريق كان أصحاب المطامع الذين خرجوا معه من مكة آملين في الغنيمة يتراجعون ويتسللون لواذاً. ولم يبقى معه إلا أهل بيته وخلص أنصاره.

في الجهة المقابلة كان الأمويون يحشدون الجيوش لقتال الحسين عليه السلام فبعد أن سيطر عبيد الله بن زياد على الكوفة، واستطاع قتل مسلم بن عقيل بعدما تخلى عنه أنصاره، أمر أن يخرج كل قادر على حمل السلاح إلى قتل الحسين عليه السلام تحت تهديد القتل لمن يتأخر.

في الثاني من محرم سنة ٦١ هـ نزل الإمام الحسين عليه السلام كربلاء بمعسكره الصغير الذي لم يكن يتجاوز عدد رجاله المائة إلا بقليل، بينما تكاملت جيوش بني أمية ثلاثين ألفاً.

في اليوم العاشر من المحرم دارت معركة تمثلت فيها البطولة الحقة والدفاع عن القيم بأعلى صورها من جهة، واللؤم وعبودية الدنيا بأدنى دركاتها في جهة الأمويين.. وكانت النتيجة أن استشهد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وعددهم يتجاوز المائة[١]. ثم استشهد صلوات الله عليه بعد قتال عنيف.. في عصر العاشر من المحرم سنة ٦١هـ ودفن حيث مصرعه في كربلاء.

خلفت ثورة الإمام الحسين عليه السلام آثارا مهمة في حياة الأمة الإسلامية، كان منها على الصعيد الديني نزع الصفة الدينية عن بني

---

(١) يراجع كتاب قضايا النهضة الحسينية / الجزء الثاني للمؤلف.

أمية، وإظهارهم -على واقعهم- أعداءً للدين، ومن كان حاله هكـذا فلا يصلح لزعامة المسلمين. وعلى الصعيد الاجتماعي خلقت حالة ندم وتأنيب للضمير بـين النـاس مما أدى إلى انـدلاع ثـورات بعـد الحسين عليه السلام كان منها ثورة التوابين وثـورة المختـار الثقفـي اللتـان انـدلعتا تحـت شـعار يـا لَثـارات الحـسين عليه السلام، وأصـبح قتـل الحسين عليه السلام عنوان لكل من يريد الانتقـام مـن الأمـويين، وجامعـاً لكل الفئات على اختلاف مذاهبها ضدهم.

# رجال حول الإمام الحسين عليه السلام

# الحر بن يزيد الرياحي

شهيد كربلاء سنة ٦١ هـ

«أنت الحر كما سمتك أمك»

الإمام الحسين عليه السلام

لا تولد المواقف الكبرى من غير نطفة ومخاض!!.

ولا يوجد في حياة الأفراد طفرات!! وما يحدث من انتقال مفاجئ ـ بحسب الظاهر ـ في موقف إنسان فإنما هو نهاية المعركة المحتدمة في داخله أياماً أو شهوراً.. وأحياناً سنين!! لكن لما كان صراع الداخل في النفس غير ملحوظ عادة عند الآخرين فإنهم يتعجبون ويفاجأون بما يحدث.

يضاف إلى ذلك أن الموقف الذي يتخذه المرء في لحظة حساسة من لحظات عمره، فيصبح بطلاً، أو يصنع عاراً دائماً.. هذا الموقف ليس من خلق تلك اللحظة ولا من صناعة ظروفها، بل هو من تراكم عدد هائل من مفردات البطولة وأفكار التضحية، أو تسافل الهوى وعبادة الدنيا في نفس الإنسان!!.

ولذلك نجد في التاريخ ـ بل والحاضر ـ فئتين تتعرضان لهدى القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، الأولى تهتز ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [1]. وتسمع الثانية لنفس الكلمات، فلا

(١) الإسراء / ١٠٩

تزيدها إلا استكباراً وعتواً!.

ويتحدث الحسين عليه السلام، عما سيصير إليه نتيجة الصراع بينه وبين بني أمية، فإذا ببعض من صحبه من مكة يتسللون لواذاً، بينما تشتعل في قلب الحر الرياحي جمرة التفكير الحر، ولا تنتهي إلا عندما يكون أول شهيد بين يدي الحسين عليه السلام .

❀❀❀

لا ينقل التاريخ عن حياة الحر إلا أياماً، تبدأ بخروجه على رأس قوة عسكرية من ألف فارس، وتنتهي في عصر يوم عاشوراء وكأنها بذلك تختصر الزمن الممتد في حياة الناس حيث يعيشون حياتهم العادية وهمومهم الشخصية من السنين إلى الأيام، فهل يخلد التاريخ سوى المواقف، سواء مواقف الفخر أو مواقف اللعنة؟!.

وسوف نرى في حياة الآخرين أيضاً نفس المعنى، ذلك أن وجه التمايز بين الناس إنما هو بمواقفهم وطريقة حياتهم المترتبة عليها، فإذا كانوا يشتركون في كثير من الفعاليات الحياتية (يأكلون ويشربون.. وينامون.. الخ) فإنهم يختلفون ويتميزون في المواقف فإذا هذه المواقف تختصر حياة الإنسان، وإذا بالبطولة تغدو كل حياته مع أنها في ميدان الصراع الخارجي لم تستغرق سوى ساعات.

ولذلك فإن التاريخ بما فيه من مليارات القصص والأحداث لا يستطيع التوقف أمام كل شخص، لكنه لا يملك إلا أن يخلد مواقف الرجال ورجال المواقف!!.

نعم إن الحر بن يزيد اليربوعي الرياحي من بني تميم، كان من رؤساء أهل الكوفة، وكان شريفاً في قومه، وكان ذلك شجاعاً، ولم يكن كل ذلك ليعطيه بطاقة الدخول إلى نادي الخالدين لولا موقفه الأخير.

ها هو يستعد للخروج على رأس قوة عسكرية أعدها الوالي

الجديد عبيد الله بن زياد بعد أن دخل الكوفة وسيطر عليها وقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وسجن أشراف الشيعة من أنصار الحسين، ثم أعلن التعبئة العامة في الكوفة، لتخرج إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام.

وكان لا بد من استباق دخول الإمام إلى الكوفة، وحصره في موضع بعيد عن الكوفة، لأن وصوله الكوفة كفيل بزعزعة الوضع الأموي فيها فكان يحتاج إلى فارس شجاع وقائد قادر يمكن الاعتماد عليه في هذه المهمة، ووقع الاختيار على الحر الرياحي!!.

❁❁❁

خرج الحر من منزله بعد أن استلأم وتسلح، وقصد قصر الإمارة ليستلم مهمته، وفيما هو كذلك إذا به يسمع من خلفه منادياً:

ـ يا حر أبشر بالجنة!!.

والتفت خلفه ثم في كل صوب باحثاً عن مصدر الصوت، فلم يجد أثراً وغرق من جديد في لجة أفكاره حول طبيعة المهمة القادمة، ومن جديد عاد الصوت.. يا حر أبشر بالجنة!! ومرة أخرى لم ير أحداً..

ـ قاتل الله الشيطان.. أتراه يمدني في الغي أكثر؟ كيف أبشر بالجنة وأنا خارج لقتال الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله؟! أترانا على صواب؟! وهل يقاس ابن زياد بالحسين؟!.

ترى من قائل ذلك الصوت الذي يتكرر على سمعي؟! وماذا يعني؟! وهل يستطيع أحد ألا يخرج؟! بل هل يسمح له ابن زياد بالتفكير؟.

وبعد أن تسلم مهمته وهي قيادة (١٠٠٠) فارس من أهل

الكوفة، من أجل منع الحسين عليه السلام من دخول الكوفة فاتحاً، وأسره والانطلاق به إلى الأمير ابن زياد. لم تترك الأفكارُ والهواجس الحر الرياحي يعيش لحظة من الاستقرار النفسي لقد كان (يتقلى) على نار الأفكار، طول مسيره.

❁❁❁

هنا شُراف..

منطقة في وسط الطريق بين الكوفة وكربلاء، وفيها نزل عليه السلام مع أصحابه، وفي اليوم التالي، وبعد أن استقوا من الماء فأكثروا، وساروا.. باتجاه الكوفة...

ـ الله أكبر.. الله أكبر. رأيت النخل.. صاح أحد أصحاب الحسين عليه السلام قبل منتصف النهار بفرح، ذلك أن رؤية النخل يعني أنهم على مشارف الكوفة وهو يعني النصر والظفر، فها هي الكوفة عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام تفتح أحضانها لاستقبال ابنه الحسين!! بشرى لكم أيها الكوفيون لقد وصل الغيث الساقي لصحراء بلادكم وأنفسكم.. فرك يديه جذلاً وهو يعيد التكبير..

ـ إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط.. قال اثنان من بني أسد. بل هي هوادي الخيل وأسنة الرماح.

ـ أما لنا ملجأ نلجأ إليه ونجعله في ظهورنا ونستقبل ونستقبل القوم من وجه واحد؟! سأل الإمام الحسين أصحابه.

ومال الجميع إلى جبل (ذو حسم) مسرعين، وطلعت عليهم خيل الحر الرياحي وقد أهلكها العطش، وفتك بها التعب.

كان الوقت مناسباً للقضاء عليهم!! فهم متعبون عطاشى، وخيولهم آذاها السير الحثيث والبدء بمعركة معهم وهم على هذه الحالة كان يعني بلا شك هزيمتهم، وهكذا فكر بعض أصحاب

الحسين عليه السلام. وأيضاً تخوف من نفس الأمر أصحاب الحر الرياحي.

وما أن وصلوا حتى قال الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه:

ـ اسقوا القوم وارووهم من الماء.. ورشفوا الخيل ترشيفاً!!.

بقدر ما أثار هذا الأمر الحسيني من الفرح لدى جيش الحر، فقد أشعل أوار الصراع من جديد وبشكل أعنف في نفس الحر الرياحي..

ـ أي نمط من الأخلاق يحمله هذا الرجل، فها هو يقوم من مكانه، بعد أن وصل علي بن الطعان المحاربي (من جيش عدوه) متأخراً، فقال له: اخنث السقاء (القربة)، فلما لم يدر ما يصنع لشدة العطش، قام الحسين بنفسه وعطف السقاء حتى شرب وارتوى!!.

ها هو الحسين يواجه الحرب بالسلام، والقتال بالأخلاق!! وكان هذا يزيد الصراع الداخلي لدى الحر اشتعالاً.

وحضر وقت صلاة الظهر، فلما أذن المؤذن قام الحسين عليه السلام خطيباً وقال:

«أيها الناس إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، أقدم مصركم وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم».

وبعد أن أنهى خطابه، أمر المؤذن أن يقيم واتجه إلى الحر..

ـ أتريد أن تصلي بأصحابك؟!.

ـ لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك.. أجاب الحر..

فصلى بهم الحسين ثم أنه دخل واجتمع إليه أصحابه وانـصرف الحر إلى مكانه الذي كان به فدخل خيمة قد ضربت له فاجتمع إليـه جماعة من أصحابه.

فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتـهيئوا للرحيـل ثم إنـه خرج فأمر مناديه فأذن للعصر وأقام فاستقدم الحسين فصلى بـالقوم ثم سلم وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهلـه يكـن أرضى لله. ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هـؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فـيكم بـالجور والعـدوان، وإن أنـتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به علي رسلكم انصرفت عنكم».

فقال له الحر بن يزيد: إنا والله لا نـدري مـا هـذه الكتـب الـتي تذكر!.

فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان أخرج الخـرجين الـذين فيهمـا كتبهم إلي..

فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم.

فقال الحر: فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقـد أمرنـا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك.

ثم قال لأصـحابه: قومـوا فـاركبوا.. فركبـوا وأرادوا الانـصراف فحال القوم بينهم بين الانصراف، فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك! ما تريد؟.

فقال الحر: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان، ولكن

والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه.

وساير الحر الحسين عليه السلام، فلما وصلوا إلى (البيضة) قام الحسين خطيباً في أصحابه وأصحاب الحر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى منكم سلطناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عبادة بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلال الله وأنا أحق من غير).

ثم سار حتى نزل بذي حسم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت حَذّاء[1] فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تتكلمون أم أتكلم؟!

قالوا: بل تكلم.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين إلا أن

---

(١) مدبرة

فراقها نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معـك علـى الإقامـة فيهـا.. فدعى له الحسين وقال له خيراً.

وأقبل الحر يسايره وهو يقول لـه: يـا حـسين إني أذكـرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلـت لتـهلكن فيمـا أرى.

فقال له الحسين عليه السلام: أفبـالموت تخـوفني؟! وهـل يعـدو بكـم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك. ولكن أقول لك مـا قـال أخو الأوس لابن عمه حين لقيه وهو يريد نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أين تذهب فإنك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفـتى

إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما[1]

وواسـى الرجـال الـصالحين بنفـسه

وفـارق مثبـوراً وخـالف مجرمـاً

مع وصول ذلك الفارس. كانت إرهاصات الشهادة قـد لاحـت في الأفق فما أن وصل الحسين نينوى، يسايره الحـر ويمنـع مـن يريـد الاقتراب منه، فإذا راكـب مـستلئم في الـسلاح مقبـل مـن الكوفـة فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فما انتهى سلم على الحر وأصحابه ولم يسلم على الإمام الحسين عليه السلام.. وكان هذا كافيـاً كرسـالة، إلا أنـه سـلم رسالة للحر من ابن زياد جاء فيها:

«أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغـك كتـابي ويقـدم عليـك رسولي فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمـرت

---

(١) مقتل الحسين / لأبي مخنف / ٨٧

رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري.والسلام».

وبعد يومين وفد الحسين عليه السلام والحر يسايره إلى كربلاء، وبانت عندها أي في الثاني من محرم سنة ٦١هـ طلائع الجيش الذي يقوده عمر بن سعد الذي خرج إلى قتال الإمام الحسين بعد صراع ي داخله حُسم خلال يوم لصالح ملك الري!! الذي كان ثمنه قتل الحسين.

وهنا نلتقي بشخصيتين.. عاشتا (صراع القتل)، وشتان بين نتيجتهما!! عمر بن سعد ابن أبي وقاص الزهري.. الذي يلتقي مع الإمام الحسين عليه السلام، في النسب القرشي، كان الثمن الذي سيدفعه لو امتنع عن الذهاب لقتل الحسين ، كان الثمن إمارة الري!! التي لم تحصل له حتى بعد تنفيذه المهمة.. وكان صراع الدين مع الدنيا في نفسه، وانتصرت الدنيا.. فقد كان عبيد الله بن زياد قد أمره بالخروج إلى الديلم بجيش وكان أهلها قد تمردوا وغلبوا عليها، وكتب له كتاب الولاية على الري.. وقبل أن يتوجه استدعاه فقال له:

ـ سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك.

فقال له عمر: إن رأيت ـ رحمك الله ـ أن تعفيني فافعل.

لقد كان ابن زياد يعرف نقطة الضعف لدى عمر بن سعد لذلك قال له فوراً:

ـ نعم على أن ترد لنا عهدنا!!

لقد أنشب السهم في عين الغرض، وافتر ثغره عن ابتسامة، فقال له عمر:

ـ أمهلني اليوم حتى أنظر!!

وذهب يستشير! فلم يلق أحداً إلا نهاه عن ذلك: أنشدك الله أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك فو الله لأن تخرج من دنياك

ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين.

وبات الليل يتقلب على جمرة الضمير مرة وعلى برد الدنيا أخرى، حتى أصبح الصباح وقد اتخذ قراره..

فوالله ما أدري وإني لحائر
أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي
أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمة
ولكن لي في الري قرة عين
يقولون إن الله خالق جنة
ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني
أتوب إلى الرحمن من سنتين

وهكذا نسي نداء الضمير، وتجاهل موقع رحم الحسين، وأضل نفسه عن عذاب الله، واتجه يحدوه وهم الرئاسة، وخيال الإمارة، لأداء الثمن المطلوب منه: رأس الحسين عليه السلام.

والشخصية الأخرى.. الحر بن يزيد الرياحي. الذي أصبح بمجيء (الأمير) عمر بن سعد ابن أبي وقاص، جندياً كسائر الجنود، وانظم إلى البحر القادم من الكوفة لقتال الإمام عليه السلام.

مع كل حدث في الخارج كان الحر يشهد انعطافاً في داخله. فها هو الجيش الأموي يسيطر على شريعة الماء ويمنع أصحاب الحسين من الاستقاء، حتى يضطروا لدخول معركة للحصول على الماء، ويعود بذاكرته أياماً قليلة حينما جاء لحرب الحسين فقام الحسين بنفسه بسقي الماء!!.

ها هي المفاوضات تبدأ ويبدو كلام الحسين منطقياً في مفرداته، وعروضه عليهم، فما لهم لا يقبلون؟!.

كان عمر بن سعد يريد أن يجمع ملك الري وعدم التورط بقتل الحسين في البداية، ولم يكن ذلك ممكناً لأن أميره كان قد جعل الأول نتيجة للثاني، ومترتباً عليه. وكان الحر يتحرى مواقع الصواب!! فورد الأول مهلكة الدنيا وعذاب الآخرة، وفاز الثاني بالخلود في الدارين.

لم يكن هناك مناص من الحرب، ذلك أن شمر بن ذي الجوشن الضبابي الطامع هو الآخر بقيادة الجيش، والحصول على ولاية أو إمارة والممثل للتصعيد في أسوأ مراتبه، جاء بكتاب من ابن زياد يحتوي على تعليمات جديدة كان فيه... «انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم! وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر ذي الجوشن وبين العسكر فإنا قد أمرناه، بأمرنا والسلام»[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣١٤

وهكذا وقف الجيشان وجهاً لوجه..

في الجانب الأيمن معسكر صغير العدد، كبير الهمة، قليل العـدة كثير الإيمان، يحتوي أصحاب البصائر وقوماً مستميتين، يقدمهم نجوم الأرض من بني هاشم، على رأسهم الإمام الحسين بـن علـي بـن أبي طالب، سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ابن فاطمة الزهراء عليها السلام .. جمع هـؤلاء هدف التغيير على الإمام الجائر و الأمر بالمعروف وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و في الجانب الأيسر همج رعاع.. جمعهم هـذا الجـيش حيـث لا قلوب مجتمعة، و لا هدف مشترك..هم حطب الفتن، ووقود الحروب العبثية، على أجسادهم تمر سنابك خيول الأمراء، و علـى أكتـافهم يتسلق طالبوا الزعامة..إن شرق أمراؤهم شرقوا، أو غربوا فكـذلك.. (لم يستـضيئوا بنـور العلـم و لم يلجئـوا إلى ركـن وثيـق..).. لا يعرفون لماذا يقاتلون، و يقاتلون من لا يعرفون.

مع هؤلاء العبيد وقف الحر.. وكان موقفه متميـزاً بينـهم، فقـد طغى الصراع الداخلي عنده على كل ما حوله مـن أصـوات، فلـم يسمع إلا وجيب قلبه، وإلا احتدام الأفكار فيه، فلا ميدان إلا ميدان النفس.

وغاب عن عسكره.. وتصور الجنة ونعيمها، والنار وعذابها ومر أمامه شريط حياته سريعاً، وتوقف عند ذلك النداء الذي سمعه وقتما خرج من بيته: ابشر بالجنة!!.

تحركت الخيل بعد أن خطب الإمام الحسين عليه السلام عازمـة علـى اقتحام مخيمه، وهنا جاء الحر إلى عمر بن سعد:

ـ أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل؟! سأله الحر.

ـ أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

ـ أما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟!.

ـ أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت ولكن أميرك أبى ذلك ـ أجابه ابن سعد.

وعاد لموقفه مرة أخرى، ولكنه كان يعد للموقف الجديد (طريقة إخراج) فمن المحتمل أن يُمنع أو يُقتل قبل أن يتحول إلى معسكر الحسين عليه السلام..لذلك قال لرجل بجانبه: هل سقيت فرسك اليوم..؟؟

قال: لا...

قال: أما تحب أن تسقيه؟؟

و هكذا صنع لنفسه تغطية في التحرك إلا أن ما كان يجول بداخله كان قد خلف أثراً على خارجه، فقال له المهاجر بن أوس:

ـ ما تريد يا بن يزيد و الله إن أمرك لمريب و الله ما رأيت منك في موقف قط مثلِ شيء أراه منك الآن، و لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك..؟

ـ إني و الله أخير نفسي بين الجنة و النار، و الله لا أختار على الجنة شيئاً و لو قُطِّعت و حرقت...

و ضرب فرسه باتجاه معسكر الحسين عليه السلام.. وبهذه النقلة انتقل من عالم إلى عالم، و من دين إلى دين!! ووضع حداً لصراع المواقف في داخله..و ألقت نفسه عصا ترحالها و استقر بها النوى...

ـ يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ولا يبلغون منك هذه المنزلة فقلت في نفسي لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، والله لو ظننت أنهم لا

يقبلوها ما ركبتها منك. وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك.. أفترى ذلك لي توبة؟!.

قال له الإمام: نعم يتوب الله عليك ويغفر لك.

وهكذا حقق بفعله اسمه، ومارس حريته، فإذا به ينتقل من موقع العداوة لأهل البيت إلى موقف النصير الفدائي..

وأراد أن يقوي خط الحرية عند عسكر عمر بن سعد فذهب إليهم وقابلهم وخطب فيهم، ويقال أن عدد من أقرانه قد التحقوا به بعدئذ.. لكنه لما:

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر

صموا عن النبأ العظيم كما عموا

فانصاع يخطب بالجماجم والكلى

والسيف ينثر والمثقف ينظم

لذا خرج ومعه زهير بن القين يحمي ظهره فكان إذا شد أحدهما واستلحم، شد الآخر واستنقذ ففعلا ساعة وإذا بفرس الحر مضروب على أذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه وهو يتمثل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره

ولبانه حتى تسربل بالدم

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحر الذي تتمنى قتله!

قال: نعم

وخرج إليه يطلب المبارزة فما أسرع أن قتله الحر ثم رمى أيوب

بن مشرح الخيواني فرس الحر بسهم فعقره وشب به الفرس فوثب عنه كأنه ليث. وبيده السيف وجعل يقاتل راجلاً حتى قتل نيفاً وأربعين ثم شدت عليه الرجالة فصرعته..

شريط مسيرة هذا الفارس يمر بذهن الإمام، وهو واقف على مصرعه، يوم أن التقاه وسقاه مع خيله، ثم أدبه الكبير واحترامه لفاطمة الزهراء عليها السلام. وتوبته...

وكان بالحر رمق، فقال له الحسين عليه السلام وهو يمسح الدم عنه: أنت الحر كما سمتك أمك أنت الحر في الدنيا وفي الآخرة.. وتبسم الحر، فقد عرف معنى النداء خلفه في الكوفة:

يا حر أبشر بالجنة!!.

## جون بن حوى ( مولى أبي ذر الغفاري)

شهيد كربلاء سنة ٦١ هـ

«اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم»

الإمام الحسين عليه السلام

يختزن في ذاكرته نصف قرن من الزمان والأحداث، تمتد من أواخر أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى شهادته في كربلاء وهو لم يكن في متن صفحة صانعي الأحداث إلا أنه لم يكن بعيداً عنها ذلك أنه نشأ في بيوت صانعي الأحداث وكان يمضي في حوائجهم، ويحل بحلولهم ويرتحل برحلتهم. فقد كان مع أبي ذر الغفاري في منفاه في الربذة، وبعده كان في بيت أمير المؤمنين عليه السلام معه، ثم مع الحسنين عليهما السلام.

فمن هو هذا العبد الأسود؟ هلم نفتح الغطاء عن ذاكرته ونطلع منها على ما جرى في تلك الخمسين الأولى من عمر الإسلام.

مائة وخمسون ديناراً، من كد يمينه في استنباط الآبار سلمها أمير المؤمنين علي عليه السلام للفضل بن العباس بن عبد المطلب ثمناً لشراء جون. ووضعها في يده، وجاء به إلى أبي ذر الغفاري واهباً إياه له ليخدمه.

مع مجيئه إلى بيت أبي ذر الغفاري بدا له أنه يتعلم الإسلام من جديد على يد أصدق الناس لهجة، ذلك الثائر المتحفز دائماً لإنكار المنكر ومواجهة الظلم.

إنه يتعجب من هذا الرجل الذي تعرض عليه الدنيا فيركلها

بكلتي رجليه، ويفضل أن يعيش الفقر وجشوبة العيش على نضارة النعيم.. لقد ركب الكثير من الصحابة قطار الدنيا ولم يتوقفوا.

الكل ينتظر الوصول إلى المحطة الأخيرة. البعض جمع من الذهب ما يكسر بالفؤوس!!

والبعض الآخر باع صحبة النبي، وفقه الدين لذوي المال والسلطة، «وبقي رجال غض أبصارهم خوف المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وداع مخلص وثكلان موجع» [(١)].

بقي من تعجل مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، وكان في طليعتهم مخدومه أبو ذر الغفاري. عفواً هل يمكن أن نسميه مخدوماً؟! ومتى كان لأبي ذر من الشؤون ما يستحق الخدمة، وهل كان يسمح بذلك لو كان له تلك الشؤون؟.

إنه لم يشعر يوماً إلا أنه أخ لأبي ذر.

ها هو جون أمام مدرسة جديدة في فهم الإسلام، مديرها علي بن أبي طالب، وأبو ذر أحد معلميها، وخُلّص صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم معالمها الرئيسية.

من يصدق جون؟! هل يعقل أن يكون المنهج الذي يسير عليه (كبار) الصحابة وزناً ومالاً ومنزلة اجتماعية غير صحيح؟! وإذاً.. فلماذا يضربهم أبو ذر بقوارض من كلامه دونها لسع النحل؟! وهل ما يقوله من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتفسير آيات القرآن لم يمر على مسامعهم؟! أو ليس أبو ذر هو من قال فيه الرسول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» لقد سمعوا ورأوا ولكن للصدق ثمناً باهظاً لا يستطيع هؤلاء تحمله.

---

(١) نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام

ها هو برد رسول الخليفة عثمان يصل إلى أبي ذر ومعه مائتا دينار: عثمان يقرئك السلام ويقول لك هذه مائتا دينار تستعين بها على ما نابك.

فرد عليه أبو ذر: وهل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟!

ـ كلا.. إنه يقول هذا من صلب مالي وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام ولا بعثت بها إليك إلا من حلال.

كان العرض مغرياً، فالأموال حلال!! ومن صلب ماله!! ومن يريد الحيلة الشرعية يستطيع الاعتماد على هذا الكلام ثم يأكل هنيئاً مريئاً!! لقد كان غيره لا يطمع في هذا التوضيح وبهذا القسم والإيمان!! وبقدر ما كان العرض مغرياً كان الجواب مفاجئاً!! لقد قال أبو ذر:

ـ لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس!! تعجب جون، وتعجب الرسول أكثر منه.. أغنى الناس؟! أما البيت فيرثي الكوخ لحاله، وأما الأثاث!!.

ـ عافاك الله وأصلحك ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً مما يستمتع به.

ـ بلى تحت هذا الأكاف (برذعة الحمار) الذي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم الله أني لا أقدر على قليل ولا كثير وقد أصبحت غنياً بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون [1].

---

(١) تنقيح المقال ٢٣٥/١

كانت هذه الجزرة التي استخدمها الخليفة عثمان مع أبي ذر بعد أن بدأ تحركه في وجه الإسراف و الفساد الاقتصادي. وبعد أن أصبح كعب الأحبار اليهودي سابقا مفتي المسلمين اليوم.

وهكذا كان جون يتابع طريقة سيده أبي ذر في الحياة ويتأثر بها ، وبالمدرسة التي ينتمي إليها.حتى كان يوم النفي ، عندما ضاق الخليفة ذرعاً بخطوات أبي ذر فنفاه إلى الشام ،ولما كان الحاكم في الشام أسوأ إسرافاً وأكثر عبثاً في أموال المسلمين ، فقد كان شغل أبي ذر هناك فضيحته، حتى أعاده معاوية إلى المركز الأول، المدينة، لأن بقاءه في الشام كان كفيلاً بإثارة أهلها، وتجميع المؤمنين الفقراء ضد حاكمها.

عاد وهو يحمل معه عهده مع الرسول صلى الله عليه وآله حين آمن أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يحتمله الخليفة فنفاه إلى الربذة.

في كل رحلاته تلك ومعاناته، كان جون معه متابعاً ومتألماً لما صار إليه حال الأمة والإسلام، فهذا الدين الذي قام على أساس الدعوة إلى الله ها هو يصبح ألعوبة بيد أبناء أبي العاص، الذين اتخذوا مال لله دولاً وعباده خولاً.

ذهب أبو ذر ومعه أهله ومولاه جون مودعاً بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام: إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك.

وكما عاش وحده، هاهو أبو ذر يموت وحده بأرض فلاة بعيداً عن دار هجرة الرسول صلى الله عليه وآله الأرض التي أحبها أبو ذر.

وعاد جون في سنة ٣٢ للهجرة بعد وفاة أبي ذر الغفاري، مرة أخرى إلى دار علي بن أبي طالب عليه السلام وكان معه.

وتكامل فهمه للإسلام، فقد كان محظوظاً إذ أنه في السنوات الماضية كان تلميذ أبي ذر، إلا أنه اليوم تحت رعاية أمير المؤمنين والحسنين عليهما السلام.

ها هو يراقب كيف يمتد هذا الخط الخالص المضحي لأجل الإسلام، من منزل الرسول، إلى منزل حمزة، وإلى أمير المؤمنين، وإلى أبي ذر والمقداد وسلمان وعمار...

هذا الخط الذي قاتل، وقاتل حتى استوى الإسلام على سوقه، وحتى بدأ يعجب الزراع. وكيف كانت سائر الخطوط الأخرى، التي اتخذت من الإسلام جسراً لأطماعها ورغباتها.. سواء أولئك الذين قاتلوا دعوة الإسلام قتال المستميت حتى أذن الله لدينه أن يظهره على الدين كله أو أولئك الذين غيروا تكتيك العمل ليحافظوا على مواقعهم، فبدلاً من اللات والعزى، أصبح التكتيك الجديد: الصوم والصلاة!!

هذا الخط الرسالي الذي يقاتل في سبيل إقامة الدين، ويبلغ في سبيل نشر الإسلام، ويظلم في سبيل وحدة المسلمين، ويتحمل كل ذلك من أجل الله..

التصق به جون وعرف أي كنز قد أرسله الله إليه عندما عرفه الطريق السليم والمحجة الواضحة، وحجته وقيادته.

ومرت الأيام، واستشهد أمير المؤمنين عليه السلام، وقتل الإمام الحسن عليه السلام وجون لا يزال في هذا البيت الطاهر، يحل بحلولهم ويرتحل برحلتهم، حتى كانت رحلة الإمام الحسين عليه السلام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانت الرحلة هذه من المدينة باتجاه العراق.

في كربلاء كان للعبيد والموالي مواقف الأحرار، بينما كان الأحرار ـ ظاهراًـ مواقف العبيد. فالموالي الذين كانوا في معسكر الإمام أثبتوا أنهم بمواقفهم ارتقوا منازل عالية، بينما أولئك الأحرار نسباً في المعسكر الأموي ارتموا في حضيض الذلة والعبودية.

نلتقي في كربلاء مع واضح التركي الذي قاتل فلما صرع استغاث بالحسين عليه السلام فأتاه أبو عبد الله واعتنقه فتبسم وقال: من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي؟! ثم فاضت روحه.

ونلتقي مع أسلم مولى الحسين عليه السلام الذي كان ينازع بعد أن صرع فمشى له الحسين واعتنقه أيضاً حتى أستشهد.. ويؤكد الإمام بموقفه ذاك ـ حيث وضع خده على خد ابنه علي الأكبر وعلى خد واضح التركي ـ بأن مواقف الإنسان هي التي تصنع أمجاده، فرب شريف النسب يكون وقود جهنم لموقفه السيئ، ورب مولى عديم القيمة (في نظر الناس) يصبح شهيد كربلاء ويقفز بهذا الموقف خطوة لانهائية المدى في الارتفاع والسمو.. وجاء جون إلى الإمام الحسين عليه السلام يستأذنه للقتال، فقال له الإمام:

ـ يا جون إنك إنما تبعتنا طلبا للعافية فأنت في إذن مني. لقد كان الإمام الحسين يكرر على أصحابه هذه الكلمة: أنت في إذن مني وأنت في حل مني.. وذلك ليبقى معه من عزم على الوصول إلى نهاية المشوار في النصرة، لكيلا يبقى أحد حياء، أو تورطا. كذلك فإن الكثير من الموالي والعبيد يتبعون ساداتهم ماداموا أحياء، ولا يكلفون بأن يلزموا مواقفهم السياسية والدينية فضلا عن الموت في سبيلها.لذلك أراد الإمام أن يفتح خط الرجعة إلى الحياة العادية، إن كان يريد ذلك.

إلا أن (جون) الذي تابع هذه المسيرة منذ البدايات، وتعلم على يد أبي ذر، ثم في بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رأى أن الاستمرار في هذا الطريق والشهادة فيه، تنتهي إلى الجنة، وما قيمة الحياة الباردة الرتيبة التي سيعود إليها في مقابل جنة عرضها كعرض السموات والأرض؟!

لذلك انتفض لتصوره هذا المصير، ووقع على قدمي الإمام يقبلها ويقول: أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، إن ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني. لا والله لا أفارقكم حتى يختلط

هذا الدم الأسود مع دمائكم.

لقد كان ينطلق من موقع الوفاء الأخلاقي، أولاً، ومن موقع البحث عن الجنة من خلال الشهادة مع الإمام الحسين ، ويرى أن حسبه وشأنه موقوف على الموقف الذي سيتخذه.

وأذن له الإمام الحسين عليه السلام فمشى إلى المعركة مستبشراً بالمصير الذي سيلاقيه وهو يرتجز ويقول:

كيف يرى الكفار ضرب الأسود

بالسيف ضرباً عن بني محمد

أذب عنهم باللسان واليد

أرجو به الجنة يوم المورد

فلم يزل يقاتل حتى قتل خمسة وعشرين مقاتلاً، وبعدها قتل، وجاءه الإمام الحسين عليه السلام ووقف على مصرعه قائلاً:

ـ اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعرف بينه وبين آل محمد.

وأرسلت الشمس خيوط أشعتها الذهبية صباح الثالث عشر من محرم سنة ٦١ هـ، خجلى من فعل البشر تصافح أقماراً على أرض كربلاء... ومع الصباح كانت الأسديات متجهات إلى شريعة الفرات، فرأين نوراً أبيض ينبعث من جسد أسود، وقد عبق الجو برائحة المسك..

وكانت الروح ترفرف في عليين على موعد لقاء مع الرسول الكريم.

## مسلم بن عقيل ابن أبي طالب عليه السلام

العمر: ٦٠ سنة

الوفاة: شهيداً في الكوفة

«.. إنما شق العصا معاوية وابنه يزيد والفتنة ألحقها أبوك وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته...»

خطاب مسلم لابن زياد

ما أن استلم الكتاب من الشام حتى طار فرحاً، يجد السير من البصرة باتجاه الكوفة.. لقد تحقق أمله الأكبر فأصبح (والي العراقيين) وهكذا اتجه مع مجموعة من رجاله بعد أن عين أخاه خليفة له. وانطلق يلهب ظهر مركوبه بالسوط لكي يسرع.

لقد كان كل شيء مهيئاً ليقوم بمهمة القضاء على مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة، فهو يمتلك من العداء لأهل البيت أكثر ما كان يمتلك أبوه، بالرغم من أن أباه لم يكن قاصراً في فن التنكيل والاضطهاد لشيعة أهل البيت إذ جرد فيهم سيف بغيه وعدوانه، بعد أن استلحقه معاوية كابن سفاح لأبي سفيان، وبقي أن ينفذ مهمة قتل أتباع أهل البيت وأراد أن يكون تنفيذها بطريقة تثبت (أمويته) وكما أنه (لا تلد الحية إلا حية) فإن الابن تجاوز طغيان أبيه وان لم يحصل على جميع مناصبه! وهاهي الفرصة تأتي دون أن يسعى إليها. كتاب من يزيد، بعد مشورة سرجون الرومي عليه:

«أما بعد: فقد كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ

كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه. والسلام».

وهكذا خطب في البصرة مودعاً ومعيناً أخاه: «يا أهل البصرة قد استخلفت عليكم عثمان بن زياد ابن أبي سفيان وإياكم والخلاف والإرجاف فو الله لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعرينه (رهطه) ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى، حتى تسمعوا لي.. أنا ابن زياد أشبهه بين من وطأ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا عم».

إنه الآن على مشارف الكوفة بعد أن سقط وتأخر أكثر من رافقه إعياء من السفر المستمر والجهد.. وفكر كثيراً.. ما الذي يعمل، لو عرفه أهل الكوفة فمن الممكن أن يعتقل ويسلم إلى مسلم بن عقيل الذي بايعه أكثر أهل الكوفة.

لذلك لبس ثياباً يمنية، وعمامة سوداء وتلثم ليوهم من رآه أنه الحسين، وسار وحده فدخل الكوفة، بينما كانت جماهير الناس التي يمر بها ترحب قائلة مرحباً بابن رسول الله!! قدمت مصرك وأهلك.

ولم يكن ينبس ببنت شفة، لأنه لو تكلم عرف، وكانت المهمة دقيقة فبمقدار ما كان يستثيره ذلك الكلام إلى حد رغبته في الانتقام، كان عليه أن يظل ساكتاً، وأن لا يُعرف.

وأسرع إلى قصر الإمارة، وطرق بابه، فجاء النعمان بن بشير من أعلى القصر وقد ظنه الحسين، وقال له: ما أنا بمؤد أمانتي إليك يا ابن رسول الله ومالي في قتالك من أرب..

فصاح به ابن زياد: افتح لا فتحت فقد طال ليلك.

لما تكلم.. صاح بعض من كان حاضراً بالناس: إنه ابن مرجانة ورب الكعبة.

وهكذا أصبح ابن مرجانة عبيد الله بن زياد أمير الكوفـة، وأزاح النعمان بن بشير الأنصاري الذي لم يكن له في القتال أرب أو رغبة.

وأعلن الأحكام العرفية، ناشراً الخوف والإرهـاب، فقـد قـبض على جماعة من أهل الكوفة فقتلهم فوراً..

وتنبه مسلم بن عقيل وافد الحسين عليه السلام إلى ما يعنيه مجيء ابن زياد إلى الكوفة.. فهو يعرفه جيداً كما يعرف أباه مـن قبلـه، ويـدرك مدى الحقد الذي يحمله اللقطاء للشرفاء، ولذلك كان عليه أن يحـيط نشاطه بمقدار أكبر من التكتم، وأن يغير موقع إدارته للتحرك فخرج من بيت المختار ابن أبي عبيدة الثقفي إلى دار هاني بن عـروة المـرادي ذلك أن هانياً بما يتمتع به من عزة العشيرة ومنعة الرجال، لا يجاريـه غيره، فقد كان يركب في أربعة آلاف دارع من مراد.

واستمر المبايعون يفدون على مسلم في دار هاني بن عروة حـتى وصل عددهم إلى ثمانية عشر ألفاً.

كان شريك بن الأعور وهو من شيعة أمير المـؤمنين عليه السلام ومـن أشراف البصرة، قد قدم إلى الكوفة ونزل ضيفاً على هاني بـن عـروة في بيته في نفس الفترة التي قدم فيها ابـن زيـاد إلى الكوفـة، ومـرض شريك مرضاً شديداً، فأرسل إليه ابن زياد بأنه آت لعيادته..

وبدأ شريك يخطط للأمر، فقال لمسلم بن عقيل:

ـ إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية وقد أمكنـك الله منه وهو صائر إلي ليعودني فقم إلى الخزانـة حـتى إذا اطمـأن عنـدي فاخرج إليه فاقتلـه ثم صـر إلى قـصر الإمـارة فـاجلس فيـه فإنـه لا ينازعك فيه أحد من الناس فإن رزقني الله العافية صرت إلى البـصرة فكفيتك أمرها وبايع لك أهلها.

وسمع ذلك هاني، وكره أن يقتـل في داره، ربمـا تمـسكاً بالعـادات

العربية التي تحترم الضيف الوافد للبيت.. غير أن شريكاً الـذي كـان ينصح هانياً على القيام بأمر مسلم والاهتمام بإنفاذ أمـره.. لم يـسمع لهاني وقال له:

ـ ولِمَ؟! فوالله إن قتله لقربان إلى الله[1].

ثم قال لمسلم: لا تقصر في ذلك.

فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم: الأمير بالباب.

فدخل مسلم الخزانة، ودخل عبيد الله بـن زيـاد علـى شـريك، فجعل يسأله عن علته، وهو يجيبه.. بينمـا قـد أخـذه القلـق بـشأن المهمة المنتظرة، فلما أبطـأ عليـه جعـل يقـول ـ مـشيراً إلى مـسلم بضرورة الإسراع في تنفيذ المهمة:

مـا تنظـرون بـسلمى أن تحيوهـا
حيوا سلمى وحيـوا مـن يحييهـا
هل شربة عذبة أسـقى علـى ظمـأ
ولو تلفـت وكانـت منـيتي فيهـا

ثم قال: لله أبوك اسقونيها ولو كانت فيها نفسي!!

يقول ذلك مرتين أو ثلاثة.. فقال عبيد الله (بن زياد) ـــ وهـو لا يفطن ـ: ما شأنه أترونه يهجر؟! فقال هاني: نعم ـ أصلحك الله ـ ما زال هكذا منذ أصبح.

وقام ابن زياد وانـصرف.. بينمـا كانـت نفـس شـريك تتقطـع حسرات على فوات الفرصة، وقام إلى مسلم قائلاً: مـا منعـك مـن

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري / ٢٣٥

قتله؟!

فقال مسلم: منعتني منه خصلتان: إحداهما كراهية هاني أن يقتل في داره، والأخرى قول رسول الله ﷺ: الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن.

فقال شريك: أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك واستوسق لك سلطانك [1].

وكان في هذا الموقف تصوير لثلاث شخصيات: الأولى شخصية شريك بن الأعور الشريف البصري، الذي كان يهمه بالدرجة الأولى تحقيق الهدف السياسي بقتل ابن زياد والسيطرة على الكوفة ثم البصرة، لأن ذلك كفيل في رأيه بانتصار الحسين عليه السلام، وثبات أمر مسلم بن عقيل. وكان مندفعاً لتحقيق هذا الهدف بكل ما استطاع.

والثانية شخصية هاني بن عروة المرادي الذي أجار مسلماً، وأصبح حاميه، ولكنه لم يشأ أن يكون حل الأزمة بهذه الطريقة تبعاً لحسابات أخلاقية واجتماعية تمنع قتل الضيف ـ كائنا من كان ـ في بيت مضيفه.

والثالثة: شخصية مسلم بن عقيل، والذي يلتزم في كل تحركه بمنهج أئمته القائم على رفض الغدر والفتك، وإن كان هذا في قاموس السياسيين النفعيين من الأدوات العادية للعمل.. إلا أنه في منهج أهل البيت يعتبر خطيئة أخلاقية ومخالفة للهدف الذي يسعون إليه.. وبالرغم من أن (خائنة الأعين) وما يتبعها من التآمر محرمة على النبي (اختصاصاً) فكان بعض مهدوري الدم يفوتونه ولا يستطيع أن يشير ـ بعينه ـ بقتلهم، إلا أنها ـ في من بعده من أهل البيت ـ تبين المنهج العام.

---

(١) المصدر السابق / ٢٣٥

وهكذا.. نجى ابن زياد بجلده لأن الضوابط الأخلاقية والدينية منعت مسلماً من الإجهاز عليه، إلا أن أي نوع من الضوابط لم يكن ليوقف ابن زياد عن تنفيذ مهمته، فاستدعى معقلاً مولاه، وناوله كيساً فيه ثلاثة آلاف درهم وقال له:

ـ خذ هذا المال وانطلق فالتمس مسلم بن عقيل وتأن له بغاية التأتي.

وانطلق معقل حتى دخل المسجد الأعظم وجعل لا يدري كيف يتأتى الأمر، ثم أنه نظر إلى رجل كثير الصلاة إلى سارية من سواري المسجد فقال في نفسه:

إن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة واحسب هذا منهم.

فجلس الرجل حتى إذا انفتل من صلاته قام فدنا منه وجلس فقال:

ـ جعلت فداك إني رجل من أهل الشام مولى لذي الكلاع الحميري وقد أنعم الله علي بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وحب من أحبهم ومعي هذه الثلاثة آلاف درهم، أحب إيصالها إلى رجل بلغني أنه قدم هذا المصر داعية الحسين بن علي عليه السلام فهل تدلني عليه لأوصل المال إليه؟ ليستعين به على بعض أموره ويضعه حيث أحب من شيعته.

وهكذا وقع مسلم بن عوسجة في فخ معقل مولى بن زياد، وكان ينبغي التريث في أمره أو على الأقل عدم إيصاله إلى موقع مسلم بن عقيل، فأخذ منه ذمة الله وعهده أن يكتم، فأعطاه معقل ما شاء.. واتفقا على اليوم التالي ليوصله إلى مسلم بن عقيل.

ووصل إلى مسلم وبقي إلى المساء، وكان يغدو في كل يوم فيكون نهاره كله هناك يتعرف أخبارهم ثم ينقلها إلى ابن زياد..

وأعلمه أن مسلماً في بيت هاني بن عروة.

ابن زياد الذي كان لا يقر له قرار بعد معرفته نزول مسلم في بيت هاني، فكر كثيراً قبل أن يقدم على خطوة اعتقال هاني، وذلك لما يعرفه من قوة عشيرته أنه يحتاج إلى اعتقاله دون أن يثير ذلك أحداً من عشيرته.. فبعث إليه محمداً ابن الأشعث وأسماء بن خارجة اللذين قالا لهاني:

ـ أقسمنا عليك إلا قمت معنا إليه الساعة لتسل سخيمة قلبه.

وقام معهم، وكان عليه أن يقدر الظروف السياسية المحيطة بالكوفة فيحترز بعدم الذهاب أو الاحتياط حين الذهاب.. ولكن يبدو أن هذه هي مشكلة أتباع أهل البيت أنهم على مستوى عال من الأخلاق والفضائل التي تمنعهم عن الغدر والارتياب ويتصورون أن الناس كلهم كذلك، بينما يقف أعداؤهم على الطرف النقيض فلا دين يردعهم ولا أخلاق تحجزهم أو ذمام.

ها هو هاني الذي منعته أخلاقه أن يسمح بقتل ابن زياد ـ وهو عدوه ـ في منزله، يستدرجه ابن زياد نفسه ـ بالخديعة ـ إلى حيث سيكون مقتله قي قصر ابن زياد..

ودخلوا جميعاً على ابن زياد.. الذي تمثل قائلاً:

أريد حياته ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مراد

فاستغرب هاني من هذا الاستقبال، وقال:

ـ وما ذاك أيها الأمير؟!

ـ وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم بن عقيل وإدخالك إياه في منزلك، وجمعك له الرجال ليبايعوه.

ـ ما فعلت وما أعرف من هذا شيئاً.

فدعا بمعقل.. فجاء إليه، وخاطب هاني: أتعرف هذا؟!

فلما رآه علم أنه كان عيناً عليهم، قص على ابن زياد كيفية مجيء مسلم إلى داره.. وأنه سوف يخرجه من داره لينطلق حيث يشاء. إلا أن ابن زياد لم يكن ليفوت الفرصة عليه. فقال:

ـ لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به..

ـ أو يجمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل؟ والله لا أفعل ذلك أبداً.

ومرة أخرى، فإن تلك أخلاق الأشراف العربية تمنع هانياً من تسليم مسلم إلى ابن زياد.

ـ لتأتيني به أو لأضربن عنقك..

ـ إذن.. تكثر البارقة[1] حولك.. قال هاني.

ـ والهفا عليك أبالبارقة تخوفني؟ وأمر ابن زياد غلمانه فأخذوا بضفيرتي هاني وأخذ ابن زياد القضيب فاستعرض به وجهه، وضربه ضرباً عنيفاً حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى تحطم القضيب وسالت الدماء على ثيابه، وعمد هاني إلى قائم سيف شرطي محاولاً اختطافه ليدافع به عن نفسه فمنعه منه وقال ابن زياد:أحروري!! أحللت بنفسك وحل لنا قتلك. وأمرنا باعتقاله في أحد بيوت القصر.

مع اعتقال هاني لم يبقى أمام مسلم غير إعلان الثورة فنادى بشعاره:

---

(١) يعني سيوف قبيلته

يا منصور أمت، فاجتمع أنصاره إليه وأحاطوا بقصر الإمارة.

وإذا كان لكل شيء آفة، فإن آفة الحركات الجماهيرية هي الطابور الخامس الذي ينفذ بين الثائرين فيميت فيهم روح الشجاعة، والحس والمسؤولية، ويحيي فيهم الدوافع الذاتية، يغطي عن أعينهم آمال المستقبل، بينما يسلط الضوء على الماضي، تخويفاً وترغيباً.. وهذا مذبح الثورات.

وبالفعل فإن الدور الذي قام به كثير الحارثي ومحمد بن الأشعث وشبث بن ربعي، وشمر بن ذي الجوشن الضبابي، في تخذيل الناس عن مسلم، وكذلك الدور الذي قام به عشرون من (أشراف) الكوفة الذين كانوا مع ابن زياد يشرفون من أعلى القصر على الناس فيمنون أهل الطاعة ويخوفون أهل الثورة..

فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف!! الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فرغ من الصلاة، وخرج من المسجد ولم يبقى معه أحد فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب.. فانتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة..

وهكذا بعد أن باء أولئك الرجال بمواقف (النساء)، جاءت هذه المرأة لتتحمل موقف الرجال، فكانت الرجل الوحيد بين عشرات الألوف من النساء!!.

يريد.. استسقى ماء، فسقته وجلس.. فسألته: يا عبد الله ألم تشرب؟! قال: بلى!

ـ فاذهب إلى أهلك.. وسكت مسلم.. فكررت عليه ذلك ثلاثاً

وهو واقف..

ـ إني لا أحل لك الجلوس على بابي.. اذهب إلى أهلك.

ـ ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي أكافئك به بعد يوم؟.

ـ أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني..

وبقدر ما أذهلتها المفاجأة فقد سرت لكونها ستخدم رسول الحسين في منزلها. وهكذا أدخلته إلى دار في بيتها، وبقي يصلي ليلته تلك..

مع مجيء ابنها (بلال) إلى المنزل، لاحظ حركة غير عادية فيه، فكثرة دخول أمه لتلك الدار وخروجها، ينبئ عن أمر فيها.. وهكذا ألح عليها في إخباره وعلم بالتالي بوجود مسلم في تلك الدار.

وظل يتقلب ليلة على حرير الآمال مترقباً الجائزة الكبرى التي سيحصل عليها من الأمير!! لذلك ما إن أصبح الصباح حتى سبقته قدماه إلى مجلس ابن زياد مخبراً..

وبهذا الخبر تسابقت الخيل إلى منزل طوعة طمعاً في القبض على مسلم، سبعون فارساً، استطاع مسلم أن يردهم إلى مواضعهم، وكان يأخذ الفارس منهم من على ظهر فرسه فيجلده أرضاً.. فطلب محمد بن الأشعث قائد تلك الفرقة المدد، فلم يقدروا عليه، فكانوا يصعدون على سطح البيت ويرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، فلما رأى ذلك خرج إليهم في السكة يقاتلهم فقال له محمد بن الأشعث: لك الأمان فلا تقتل نفسك! لم يكن مسلم يطلب الأمان لنفسه. بل كان يسعى لتوفير الأمن للناس جميعاً.

بينما كان يتمثل:

أقــسمت لا أقتــل إلا حــراً

وإن رأيــت المــوت شــيئاً نكــرا

رد شــعاع الــنفس فاســتقرا

أخــاف أن أقتــل أو أغــرا[١]

وهكذا استمر يقاتل حتى ضعف عن القتال، وأثخن بالحجارة وأعياه نزف الدم فأسند ظهره إلى جدار، وتكاثروا عليه فوقع أسيراً بيدهم..

وأخذ سيفه فبكى..

أترى هل بكى لفراق سيفه، أم لخذلان الناس لأنفسهم وتراجعهم عن ما يصلحهم؟! أو لولاية الفاسقين على المؤمنين؟! وكم هو شجي منظر البطل الفارس وهو يبكي، بعد أن رأى أن حرصه على إنقاذ الناس قابله هؤلاء بهزيمة ورأى أن سيده الحسين.. سيريق دمه في سبيل هذا المجتمع..

بعض من حوله ممن لا يفهم طبيعة المؤمنين الثائرين، ظن أن بكاء مسلم سببه الخوف والإشفاق من الموت.. فقال له: يا مسلم إن من يطلب مثل ما تطلب إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبك!!.

فأجابه مسلم: ما أبكي لنفسي ولكني أبكي لأهلي المنقلبين إليكم أبكي الحسين وآل الحسين..

أُدخل مسلم أسيراً إلى قصر الإمارة على ابن زياد. فلم يسلم عليه بالإمارة فقال له الحرسي: هلا تسلم على الأمير؟.

---

(١) الكامل لأبن الأثير ٤/ ٣٣

أجابه مسلم: ما هو لي بأمير.

فقال ابن زياد: سلمت أم لم تسلم لتقتلن!!.

ثم خاطبه مهدداً: يا بن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم؟!

فرد عليه مسلم: كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب والسنة.

فقال ابن زياد: وما أنت وذاك؟ ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذا أنت تشرب الخمر بالمدينة!! فقال مسلم غاضباً: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق وإني لست كما ذكرت وأن أحق الناس بشرب الخمر مني من يلغ في دماء المسلمين فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

وكما تكون نهاية الحوار بين سيف السلطة وضمير الأمة.. كانت نهاية الحوار:

قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

فأجابه مسلم: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغيلة ولا أحد من الناس أحق بها منك [1].

وبينما كان الناس ينتظرون الخبر.. وإذا بجثتين زكيتين يسبقهما نور رأسين شريفين قد ارتطمتا بالأرض.. لمسلم وهاني..

---

(١) الكامل لأبن الأثير ٤/ ٣٥

# العباس بن علي بن أبي طالب

ولد سنة ٢٦هـ

شهيد كربلاء سنة ٦١ هـ

«كان عمي العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أخيه الحسين وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيدا في كربلاء»

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

ها هي تجد أول حلقة من تفسير رؤياها قد أصبحت حقيقة.. وحمدت الله سبحانه وتعالى.. فمن مثلها وقد أصبحت قرينة سيد الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

رجل.. ملء الميدان ساعة الحرب، وملء المنبر حين الخطابة وملء الأسماع حين يعلّم.. من مثلها وقد كانت تتمنى أن تخدم أمير المؤمنين بأجفان عينيها، وإذا بها تصبح زوجته.

نعم لقد رأت في المنام ذات ليلة أن كوكبا منيرا تتبعه أربعة نجوم قد نزلت دارها، فملأت الدار ضياء وسرورا، ولما أفاقت سألت أمها.

ـ أبشري يا بنتاه سيتزوجك رجل عظيم تنجبين منه أربعة أولاد.

ومرت الأيام.. وذات يوم، طرق باب منزل أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وكان الطارق عقيلا، وقد جاء خاطبا فاطمة لأمير المؤمنين عليه السلام..

وهكذا انتقلت على بيت زوجها المتواضع بأثاثه الكبير بصاحبه وملأ البيت حياتها.. بمن فيه بعليّه وحسنيه.

ألم تقل أمها أنها ستتزوج رجلا عظيما!! ومن أعظم عند الله من علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله !؟ وبقيت تنتظر باقي الرؤيا.

❁❁❁

ها هو الوليد الأول..الكوكب المنير.. طلة هاشمية وملامح علوية، عيناه تتوقدان بذكاء غريب، وقد جمع خلاصة صفات من أبيه عليه السلام، ومن أمه أبنة ملاعب الأسنة وفارس قزرل.

وشب أبو الفضل العباس تحت رعاية والده، وتربية أخويه. وأخذ العلم من أبيه وأخويه، حتى قال فيه أبوه: إن ولدي العباس زق العلم زقا.

وكما زق العلم زقا، فقد ورث من أبيه شجاعة فائقة، أعانه عليها جسم قوي متكامل فقد كان يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان الأرض خطا. وقد كان وسيما جسيما.

وبعد شهادة والده العظيم في سنة ٤٠ هـ وحيث عمر العباس آنئذ أربعة عشر عاما، كان في خدمة أخيه وإمامه الحسن السبط عليه السلام، وبعده في خدمة أخيه الحسين عليه السلام وكان ـ على علمه ومعرفته ـ لا يرى في نفسه أكثر من مقام التابع للحسين بل يستفاد من بعض النصوص الموجودة أنه لم يكن يخاطب الحسين إلا يقوله: سيدي، بدلا من أخي.

ولعمري إن هذا المقام في المعرفة كبير ذلك أن إتباع أصحاب الكفاءات والقدرات الاستثنائية لقادتهم أمر في غاية الصعوبة، وأبو الفضل إضافة إلى ميزاته تلك في عمله وشجاعته، هو ابن أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد وجدنا في فترات متأخرة أن بعض أبناء الأئمة

كانوا ينازعون إخوانهم الأئمة، إمامةَ الناس لا لشيء إلا لكونهم أبناء لمعصوم!!

ولكن أبا الفضل يعرف الفضل لأهل الفضل.

وبقدر ما كان يكن لإماميه الاحترام، كانا يختصانه بمقدار أكبر من الحب، إلى القدر الذي يخاطبه الإمام الحسين عليه السلام بقوله له في كربلاء:

ـ اركب بنفسي أنت..

ومعلوم أن المفضول هو الذي يفدي الفاضل، وهو هنا الحسين عليه السلام غير أن إطلاق هذه الكلمة (بنفسي أنت) في حق أخيه أبي الفضل يفتح لنا أبوابا واسعة في معرفة مكانة العباس عليه السلام عند أخيه ولنعم ما قال العلامة المقرم في حاشية هذه الكلمة: «غير خاف ما في هذه الكلمة الذهبية من مغزى دقيق ترى الفكر يسف عن مداه وأنى له أن يحلق إلى ذروة الحقيقة من ذات طاهرة تفتدى بنفس الإمام علة الكائنات والفيض الأقدس للممكنات».

نعم عرفها البصيرة النافدة بعد أن جربها بمحك النزاهة فوجدها مشبوبة بجنسها ثم أطلق عليه تلك الكلمة الغالية «ولا يعرف الفضل إلا أهله»[1].

وكان العباس على موعد مع القدر في كربلاء لكي يترجم إخلاصه واحترامه وحبه لإمامه وأخيه الحسين عليه السلام، وإذا كان استشهد في كربلاء من أولاد أمير المؤمنين عدة أبطال في نصرة أخيهم فإن اسم العباس عليه السلام يتألق ينهم كما يتألق الكوكب المنير بالنسبة إلى سائر النجوم، تماما كما رأته في المنام، وكما توقع أبوه «فتلد لي غلاما شجاعا يكون ناصرا لابني الحسين».

---

(١) مقتل الحسين / ٢٥٥

تجمعت كل ميزات أبي الفضل عليه السلام في مصرعه لتجعل صاحب هذا المصرع أسطوريا في دفاعه، وفي شجاعته، وفي إيثاره وفي مأساته أيضا، فلندخل ركب الحسين، لنتابع رحلة حياة أبي الفضل عليه السلام قائد العسكر، وحامل اللواء، وقمر بني هاشم.

ها هو على فرسه المطهم، جبل من القوة والثقة، يرصد القافلة، يتقدم مرة ويتأخر أخرى، ساعة عند نساء أهل البيت يطمئن قلوبهن، وأخرى عند الأنصار يشد من عزائمهم وثالثة يتحدث مع الإمام الحسين عليه السلام.

كان يلحظ أبو الفضل في مسيره مع الإمام أعدادا جاءت بهم رغبة الدنيا فلما رأوا عند الحسين الآخرة رغبوا عنها، وتسللوا لواذا من معسكره، وهكذا كان العدد يقل مرة بخروج من أطاع هواه ويزيد أخرى بانضمام ذوي البصائر.. وبعد تسعة عشر منزلا، بقي معه من كان ينبغي أن يبقى من ذوي الدين والوعي، وهكذا وصل كربلاء في اليوم الثاني من محرم الحرم عام ٦١ هـ

❀❀❀

تتابعت الأيام وكل يوم يحمل خبرا أسوء من سابقه، وكتابا شرا من أمسه، وبينما كان أبو عبد الله الحسين عليه السلام قد أمر أصحابه بسقي عسكر الكوفة الذين قدموا مع الحر الرياحي أولا، ثم أخلى لهم شريعة الفرات ليشربوا بعد أن تكاثرت أعدادهم، وجاء المدد يتبع بعضه بعضا، إلا أن العسكر الأموي سيطر على الفرات وفرض حصارا عليه مانعا أصحاب الحسين من الاستقاء. وكان كل طرف يمثل عقلية خاصة وطريقة..

وهكذا أحكم الحصار على الفرات.. ونفذ الماء في معسكر الإمام الحسين وإذا كان بإمكان الرجال الصبر على الجوع فهم أقل صبرا على العطش، وأقل منهم الأطفال والنساء.

واستثيرت في أبي الفضل، فضل عزيمة هاشمية، واستأذن أخاه الحسين الذي ضم إليه عشرين فارسا، وكان على المشرعة أربعة آلاف.

فتحرك أبو الفضل يقود تلك الكوكبة ليلا، ومعهم القرب والأسقية، ولما تعرض لهم عمر بن الحجاج المكلف بحراسة المشرعة ومنعوهم من حمل الماء قاتلوهم حتى أوصلوا الماء إلى الخيام، وسقى ساقي العطاشى في اليوم السابع أطفال الرسالة، ومخدرات النبوة.

وكما أبو الفضل (علامة) معسكر الحسين عليه السلام فقد كان الطرف الآخر يعرف له موقعه وبطولته، لذلك فقد حاولوا استمالته!! فقد جاء شمر بن ذي الجوشن الضبابي لأبي الفضل بكتاب أمان!!

يتعجب المراقب من تسافل البعض في دركات حب الدنيا، وتألق البعض في درجات العلى.

فبنما ترى القسم الأول يخاف الموت ويرغب في الحياة فيقوده ذلك إلى سلسلة من الأخطاء والانحرافات توصله إلى حتفه وهو ما كان يحذر ويخاف. بينما القسم الثاني هذه المسألة بالهجوم على مصدر الخوف. فيواجهون خوف الموت بالموت نفسه، فتوهب لهم الحياة والخلود الدائم.

وهكذا إذا جاء شمر يسوقه الشر ويقوده الخسران حتى وقف قريبا من مخيم الإمام الحسين فنادى:

ـ أين بنو أختنا[1]؟! أين العباس وأخوته؟!.

---

(١) من جهة كون أم البنين كلابية، وشمر بن ذي الجوشن الضبابي كلابي أيضا .

فأعرضوا عنه ولم يجيبوه كأنهم يريدون في تلك اللحظة أن يتجردوا من القرابة، فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام :

ـ أجيبوه وإن كان فاسقا.

فقالوا لشمر: ما شأنك وما تريد؟!.

قال: يا بني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد.

ـ لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟!. قال العباس.

في تلك اللحظات كان أصحاب الحسين يعيشون في قلق واضطراب، بالرغم من معرفتهم بأبي الفضل العباس، إلا أن مجرد (تصور) كون العباس خارج معسكر الحسين، مجرد هذا التصور كان كابوس ليل، ماذا يحدث لو..؟! من بعيد كان الأصحاب يرقبون الحوار بين العباس وأشقاءه من جهة، وشمر من جهة أخرى، وقد حبسوا الأنفاس بانتظار النهاية، وعاد أبو الفضل، ومع عودته عادت الابتسامة إلى قلوب النساء في الخيام، وإلى الأصحاب خارجها، واقبل زهير بن القين إلى أبي الفضل:

ـ أحدثك بحديث وعيته، قال له زهير؟

ـ بلى

لما أراد أبوك أن يتزوج طلب من أخيه عقيل وكان عارفا بأنساب العرب أن يختار له أمرة ولدها الفحولة من العرب ليتزوجها فتلد غلاما شجاعا ينصر الحسين في كربلاء وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن نصرة أخيك وحماية أخوتك.

أتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم؟! والله لأرينك شيئا ما رأيته.

❀❀❀

لم ينفع سعي عمر بن سعد في أن يجمع دنيا الري و آخرة اجتناب قتل الحسين عليه السلام ذلك لأن الأحداث كانت تتسارع وقد زادها عنفا (دخول شمر على الخط)!! قائلا لابن سعد: أخبرني ما أنت صانع أتمضي لأمر أميرك؟ و إلا خلِّ بيني وبين العسكر..

وهكذا لم يكن بد من الحرب.. وفي التاسع من محرم زحفت خيل عمر بن سعد باتجاه معسكر الإمام الحسين عليه السلام بينما كان جالسا في الخيمة مع أخيه أبي الفضل وأخته زينب...

فلما سمعت زينب صوت الخيل، قالت لأخيها: قد اقترب العدو منا.

اركب بنفسي أنت حتى تلقاهم واسألهم عمّا جاءهم وما الذي يريدون؟!

أمر الحسين أخاه أبا الفضل.

ونهض العباس وجاء للإمام بالخبر..يقولون: جاء أمر الأمير أن يفرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب.

ارجع إليهم واستمهلهم هذه العشية إلى غد لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار..

وهكذا أجلت المعركة لليوم التالي أي العاشر، وفي تلك الليلة انضم إلى معسكر الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون رجلا.

ـ اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى!! وقذف عمر بن سعد سهما تجاه مخيم الإمام.

(أول من رمى) هذا ما يريده عادة ضعفاء النفوس، أتباع الهوى، أنه يريد من هذا العمل أن يصل للأمير، وأن يشهد له الجنود أنه كان

الأول، لتكون له جائزته أكبر!! وغفل أن التاريخ سجل له هذا الموقف لكي يصبح لعنة على كل فم..

وجاءت السهام يسبق بعضها بعضا.. آلاف السهام ضلت هدفها كما ضل أصحابها طريق الهداية.. وكانت تلك إشارة البدء، فبالرغم من أن الإمام عليه السلام كان يقول: أكره أن أبدأهم قتال، لأن السلام هدفا ووسيلة كان جوهر حركة أهل البيت عليهم السلام، إلا أن هذه السهام كانت تحية الأمويين.. فمزقت بعض الأخبية وأصابت بعض الأصحاب والنساء أيضا.

ـ قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه فإن السهام رسل القوم إليكم.

وهكذا التحمت الفئتان ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[1] وكانت الحملة الأولى وأبو الفضل يخوض في أوساطهم وقد صدّق زهيرا عندما قال له يوم أمس: والله لأرينك شيئا ما رأيته!!.

وعندما كان ينقطع بعض أصحاب الحسين عليه السلام في جموع العسكر الأموي كان العباس يذهب إليهم ليستنقذهم كما حصل لعمر بن خالد الصيداوي ومولاه وجابر بن الحارث ومجمع بن عبد الله العائذي[2].

ولقد أبلى أصحاب الحسين عليه السلام أي بلاء ولكن (غلبت الكثرة الشجاعة)، وكان أصحاب الحسين أحرص على الشهادة

---

(١)سورة آل عمران: ١٣

(٢) مقتل الحسين / ٢٩٤ .

منهم على الحياة، وتساقطوا كالزهور اليانعة في الريح الهوجاء، وتصاعدوا إلى منازل قدس كانت معدة لهم، وكان الواحد منهم يكتفي أن يسلم على الإمام من بعيد وينطلق إلى حيث موعده، فاستشهد مسلم بن عوسجة، والحر بن يزيد الرياحي، وزهير بن القين،وهكذا كانوا يتسابقون على ورود حياض الشهادة، فيصدرون منها مخضبين دماء.

وبعد الأصحاب برز أهل البيت فاستشهد الأكبر، والقاسم، وجعفر، وعون، وعثمان، وسواهم.. وبقي أبو الفضل عليه السلام وقد أترع قلبه بالأسى، على مصير هذه الأمة التي تجيش الجيوش على إمام هداها وابن نبيها، وفاض بالغضب قلبه لما يسمع من نداء الأطفال العطاشى.

أو تشتكي العطش الفواطم عنده

وبصدر صعدته الفرات المفعم

وهكذا جاء إلى أخيه يستأذنه في القتال، فقال له الحسين عليه السلام:

ـ أنت صاحب لوائي..

واللواء هو العلم العظيم الذي يعطى لأشجع الفرسان في الجيش لأنه علامة النصر والهزيمة، وكان العباس يعلم بموقعه، ولكن إناء قلبه قد فاض بقلبه.

ـ قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن آخذ ثأري منهم. قال أبو الفضل

وأخذ القربة وذهب للميدان فلما أصبح قريبا منهم وعظهم وحذرهم فلم ينفع ذلك، فنادى بصوت رفيع:

ـ يا عمر بن سعد.. هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم

أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى فاسقوهم من الماء قد أحرق الظمأ قلوبهم.

فلم يجبه عمر بن سعد، إلا أن شمرا أجابه قائلا:

ـ يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا بيعة يزيد!!.

نعم.. كيف يتمكن الظلمة والطاغوت من حكم البلاد، وظلم العباد لو لم يكن من الحمقى الأدعياء أمثال شمر، أن هؤلاء يصبحون (ملكيين أكثر من الملك) يدافعون عن الباطل أكثر من مؤسسيه!! وبينما تمتلئ ساعات الحاكم باللهو والعبث وتلبية نداء الشهوات، تمتلئ ساعات هؤلاء بالكدح لتثبيت باطله بأكثر ما كان يتوقع!! وعاد أبو الفضل:

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر

صموا عن النبأ العظيم كما عموا

فانصاع يخطب بالجماجم والكلى

والسيف ينشر والمثقف ينظمُ

واستلأم، وحمل عليهم كصاعقة سماوية فإذا هم ينشرون أمامه وينتثرون!! ويخترق كصل غاضب، وعينه على شريعة الفرات، وقد أحاط بها أربة آلاف دارع فلم يعبأ بكثرتهم ولا يرى الجمع إلا الرؤوس تطير، وصرخات النزع تعلو، والأكف تهوي و..

كأن لعزرائيل قد قال سيفه لك السلم موفورا ويوم الكفاح لي

وهكذا وصل الشريعة، قمر العشيرة، وقد انفرج عنها بقية الدارعين ضناً بحياتهم.

لك أن تتصور الموقف كالتالي:

الوقت بعد الظهر، حيث الشمس تسطع عموديا فتحيل الأرض جمرا، والوقت أيام الصيف، وأبو الفضل قد بذل الجهود قبل قليل حتى وصل إلى الشريعة، تجمعت هذه العوامل كلها لتشكل حاجة أساسية لدى أبي الفضل لكي يشرب من الماء، يضاف إليها أن وصوله إلى المشرعة ليس إلا الخطوة الأولى إذ انه لابد أن يملأ القربة ويعود ثانية ليوصلها إلى الخيام ولذلك فهو يحتاج على بذل جهد أكبر من السابق وشربة من الماء يمكن أن تخفف هذا التعب، وتجعله أقدر على القتال..

وبحركة لا شعورية كما يصنع العطشان عادة، مد يده إلى الماء البرد واغترف بكلتي كفيه، وأدناها من فمه ليشرب..

ودمعت عيناه.. وعاد إلى ذاكرته شريط الأعين العاطشة والشفاه الذابلة في مخيم الحسين عليه السلام، عطش الإمام الحسين ، وشفاه النساء الذابلة، وسكينة تلك التي تترقب على باب المخيم عودة عمها، وقد وعدها بالماء.

وألقى الماء من يده.. نعم ألقى الماء من يده.

لو أن الإيثار أراد أن يتجسد في صورة لما لقي أبلغ من صورة يدي أبي الفضل وهما ترتخيان ليعود الماء ثانية إلى مجراه، ولو أن الوفاء ركز أبعاده في شخص لما كان غير أبي الفضل،

فأبت نقيبته الزكية ريها

وحشا أبن فاطمة يشب ضرامها

ألقى الماء من يده وتمثل بقوله:

يا نفس من بعد الحسين هوني

وبعده لا كان أن تكوني

هـــــــذا حـــــسين وارد المـــــــنون

تـــــــشربين وارد المـــــــعين

تالله ما هذا فعال ديني

كل هذه الصور مرت في لحظـات سـريعة، لأن الموقـف لم يكـن يسمح بالمزيد من التأمل والتفكير، والأعداء تطل من سيوفهم عيـون العطش لدم أبي الفضل عليه السلام لذلك مـلأ القربـة وامتطـى جـواده، قاصدا المخـيم لإيـصال القربـة، وقطـع عليـه الطريـق، لقـد كـانوا يتحلقون عليه كقطع الليل المظلم، وهو يفري أوداجهم بمهنده، فـلا تسمع إلا وقع السيوف علـى الـرؤوس وهـو يدمـدم فـيهم كليـث غاضب:

لا أرهـب المـوت إذا المـوت زقـا

حـتى أدري في المـصاليت لقـى

نفسي لسبط محمد الطهـر وقـى

إني أنـا العبـاس أغـدو بالـسقا

ولا أخاف الشر يوم الملتقى

ولم يستطع أولئك البغاث أن يقفوا أمام النـسر المحلـق ولم يكـن يثبت له أحد في الميدان وجها لوجه، لذلك اعملوا المكيدة والخـداع فكمن له زيد بن الرقاد الجهني ، وعاونه حكيم بـن الطفيـل وبينمـا العباس يحصد الرؤوس، ضربه زيد على يمينه فبراها، ولم يتوقف أبـو الفضل فقد تمثل قائلا:

والله أن قطعـــــتم يمـــــيني أني أحـــامي أبـــدا عـــن ديـــني
وعــن إمــام صــادق الـيقين نجــل الــنبي الطــاهر الأمــين

ووجد الرجلان أن هذه الطريقة فعالة بعد أن عجز الجميع عـن مواجهته من الإمام ، فكمن له حكيم بن الطفيل مرة أخرى له، ولمـا مر العباس يطرد جمعا، ضربه حكيم على شمالـه فقطعهـا وتكـاثروا عليه واتته السهام كرشق المطر..وانتشرت الجروح في جميـع جـسده، فقد أصاب صدره سهم وآخر أصاب كتفه، كل ذلك وأبـو الفـضل لا يزال قويا كالجبل..

وأصاب القربة سهم فأصيب ماؤها.. ومع الماء أريق الأمل، وهى الجبل.. وظهرت آثـار الجـروح، والعطـش، والـنزف كلـها في هـذه اللحظة بين يدي أبي الفضل.. هـل يـستطيع الوصـول إلى الخيـام؟! ولماذا يذهب وقد تحطمت آماله في إرواء الأكباد الحرى لبنات رسـول الله؟! لو وصل كيف يجيب على أسـئلة الأطفـال؟! وقـف حـائرا في الميدان والسهام لا تقـف، ولكـن كيـف يـدفعها وهـو بـلا سـواعد وأصاب عينه سهم وضربه رجل بعمود من الحديد على رأسه ففلق هامته..

وهـوى بجنـب العلقمـي فليتـه
للـشاربين بـه يـداف العلقـم

وأرسل صيحة ووقع على الأرض:

عليك مني السلام أبا عبد الله.

ومع شهادة أبي الفضل.. انتهى عسكر الإمام الحسين عليه السلام.

❀❀❀

كل حي سائر إلى لقاء حتفه يوما، ولكن خير الموت مـا اختـاره المرء على بصيرة وما جلب لـه مجـدا و فلاحـا، مجـد الـدنيا وفـلاح الأخرى.

## أبو القاسم حبيب بن مظاهر الأسدي

العمر ٧٥ سنة

الوفاة: شهادة في كربلاء سنة ٦١ هـ

«لما قُتل حبيب بن مظاهر، هدّ ذلك حسينا وقال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي»

مقتل الأزدي

ترى عمن يبحث ميثم التمار؟! وما الذي أتى به في هذه الساعة؟!

لقد سار يتخطى المجالس حتى وصل إلى حي بني أسد، واستقبله حبيب بن مظاهر وامتطيا من جديد صهوة فرسيهما أيضا يتحدثان بهمس:

ـ لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق وقد صلب في حب أهل نبيه عليه السلام ويبقر بطنه على الخشبة.

قال حبيب ذلك وانفرجت أساريره عن ابتسامة ذات معنى!.

ـ إني لأعرف رجلا أحمر له ظفيرتان يخرج لينصر ابن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيقتل ويجال برأسه بالكوفة. قال ميثم في جواب حبيب.

الجالسون وهم عادة ممن لا نصيب كثير لهم في علم أو معرفة، ممن يجعلون كل خبر أو كلمة موضعا لمناقشات عقيمة لا تنتهي إلا مع حلول الظلام يحكمون على الأشياء بالوهم، ولا يحتاجون إلى وقت للحكم على القضايا، هؤلاء عندما سمعوا كلام ميثم وحبيب،

قالوا:

ـ ما رأينا اكذب من هذين..

وعادوا إلى الخوض في أحاديثهم التي لا تنتهي..ولأن الوقت يطول وهؤلاء لا عمل لديهم، لذلك فهم يتحولون إلى (دائرة استعلامات) مجانية لمن يطلب حاجة، فما أن وصل رشيد الهجري يسأل عنهما حتى قالوا له كامل القصة، والحوار الذي دار بينهما فلما سمع رشيد ذلك قال:

رحم الله ميثما لقد نسي.. ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم.. قال ذلك وذهب باحثا عن رفيقه.

لم يكن هؤلاء الثلاثة نكرة في الكوفة، فهم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحمله علمه، ومن خواصه،ولم يكونوا ليبلغوا هذه المنزلة لولا كفاءتهم العملية،إلا أن أهل المجلس كما قدمنا.. فقالوا:

ـ وهذا والله اكذب الثلاثة..

ومرت الأيام، تلد في كل يوم جديدا من الإرهاب والبطش الأموي، فما أن ولي ابن زياد الكوفة حتى بدأت الرؤوس تندر عن كواهلها، ليثبت العرش الأموي، وكان في الطليعة ميثم..

قال من حضر المجلس بعد سنوات:

ـ فو الله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثما مصلوبا على باب دار عمر بن حريث وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا [(١)].

ها هو حبيب خارج الكوفة تاركا خلفه خمسا وسبعين عاما من الجهاد والعمل والتعلم على يد أمير المؤمنين عليه السلام و التفاني في

(١) تنقيح المقال ٢٥٢/١ .

خدمة أهل البيت عليهم السلام .يمر أمام عينيه شريط طويل من الذكريات..

من بداية البدايات عندما نزل الكوفة مع أمير المؤمنين عليه السلام واستقر فيها وتمر في خاطره صور المعارك التي خاضها مع أمير المؤمنين: الجمل، وصفين والنهروان وهكذا الحرب ـ التي لم تشتعل ـ بقيادة الإمام الحسن ضد معاوية لتخاذل أصحاب الحسن عليه السلام.

وكم يحز في نفسه، ويجد في حلقه طعم العلقم عندما يتذكر مواقف معاوية من الإسلام.. ومن أهل الدين، ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا وإني أعلم أنكم تفعلون ذلك..إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم..

وأسوأ من ذلك عندما يتسلط على الأمة وال مثل يزيد!!.

يا للعنة.. أيمكن أن تسقط الأمة إلى درك أسفل من هذا وإذا لم تحرك الأمة إنقاذا لكرامتها فما الذي يحركها؟!

لقد رفض حبيب هذا الواقع الذي فرض عليه وعلى المسلمين وكانوا لا بد من خطوة عملية في ذلك، فاجتمع إلى كبار شيعة الكوفة وأهل الرأي فيهم، واتفقوا على نوع من العصيان المدني للوالي الأموي على الكوفة، وإعلان البيعة للحسين عليه السلام، والطلب منه أن يقدم إلى الكوفة.. ما دام هو بدوره قد رفض البيعة ليزيد وهكذا كتبوا إلى الإمام الحسين الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى الحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.. سلام عليك فإنا نحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو..أما بعد.. فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها وغصبها فيئها وتأمّر على عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا له

كما فعلت ثمود. إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك معه أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليك..».

❁❁❁

ما الذي يعيق الناس؟! حب الحياة؟! وهل تسمى هذه حياة في ظل الخوف والسيف والمصادرة؟!

لقد جاء مسلم بن عقيل سفيرا من الحسين إلى أهل الكوفة، وكما حزمة النور تجتمع حولها الفراشات، اجتمع إليه الناس، وكان الذي يأخذ بيعتهم له حبيب ومسلم بن عوسجة، أربعة وعشرون ألفا أحصى ديوان مسلم من بايع من الناس!. تباً للنفوس الضعيفة!! أهكذا يثير اسم ابن زياد الرعبَ في قلوب الناس؟!

أربعة وعشرون ألفا، وفي قصر الإمارة مع ابن زياد ثلاثون حارسا..فقط ثلاثون!! لو كانت هذه الألوف حشرات لشردت أولئك الثلاثين!!.

وهكذا خذلت الألوف الغير الواعية سفير إمامها حتى قتل ورميت جثته من أعلى القصر، واختفى صفوة الأصحاب، وغاص حبيب ومسلم بن عوسجة في أعماق قبيلتهما (بني أسد) حتى خرج الإمام الحسين في طريقه إلى كربلاء.. وخرجا من الكوفة يقصدانه يكمنان نهارا، ويجدان السير ليلا، ليأمنا الطلب وينجوا من المفارز المسلحة التي وضعت على الطريق.

وتنهد قاذفا حسراته من أعماقه.. لا ضير، ليس على المرء إلا أن يتحمل مسؤوليته،وإن كان يأسى ويحزن لما آل إليه أمر الدين.

لم يبق للوصول إلى كربلاء إلا منازل قليلة، وهناك يلتقي بالقدر

الذي أعد له.. أليس هو ذلك الرجل الأحمر ذو الظفيرتين الذي يخرج لنصرة ابن بنت نبيه؟!

أجل أنه لكذلك، لكن بقي الفصل الأخير، الذي سيلقي بـرداء التصديق على نبوءة أمير المؤمنين الـتي علمهـا ميـثم التمـار.. وأنـه لأشوق إلى هذا الفصل الأخير منه إلى سائر الفصول.

ما الذي ترغـب أكثـر مـن ذلـك.. لقـد خلفـت وراءك خمـسة وسبعين عاما من الزمن سبقك فيهـا أحبتـك وإخوانـك إلى جنـان الخلد.. ها أنت تقدم علـى ابـن بنـت رسـول الله وريحانتـه وسـبطه الحسين.

تلك معالم كربلاء.. وذاك المخيم الصغير ـالكبير حيث سيحط حبيب رحله ويخط بسيفه مجده.

ما إن وصل حافظ القرآن حبيب إلى المخيم حتى استقبله الإمام الحسين عليه السلام وبينما كانت علائم السرور تظهر على أنصار الحسين عليه السلام لمقدم حبيب لم يستطع حبيب أن يقاوم دمعـة سـاخنة قفـزت من عينيه، لما رأى قلة عدد أنـصار الحـسين، والتفـت في المقابـل إلى معسكر الأمويين حيث يمتد مفترشا علـى مـد البـصر.. وهنـا قـال للإمام عليه السلام:

إن هاهنا حيا من بني أسد فلو أذنت لي لسرت إلـيهم ودعـوتهم إلى نصرتك لعل الله يهديهم وان يدافع بهم عنك.

ما إن أذن له الإمام حتى أسرع يركض فرسه حتى وصل إلـيهم، ولم يكن بحاجة إلى تعريف التفوا حوله واحتفوا بـه، كيـف..لا وهـو صاحب أمير المؤمنين وسيد بني أسد..

يا بني أسد!

وأصاخ الجميع أسماعهم، ترى ما الذي يريد حبيب؟!

«قد جئتكم بخير ما أتى به رائدٌ قومَه.. هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فوالله لئن نصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة، وقد خصصتكم بهذه المكرمة لأنكم قومي و بنو أبي وأقرب الناس مني رحما».

هز هذا الخطاب قلوب الحاضرين..

فالغالب منهم اهتزوا استجابة لهذا النداء، لكأن خطابه المطر، عندما يلامس الأرض الهامدة فإذا بها ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1] .

وقلة قليلة مظلمة القلوب يؤذيها النور، ولا تألف غير العتمة والظلمة، اهتزت خوفا على حياتها الذليلة، ومتاعها القليل.

قام عبد الله بن بشير الأسدي قائلا:

شكر الله سعيك يا أبا القاسم فوالله لو لجئتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحب فالأحب أما أنا فأول من أجاب..

ولأن المواقف الشجاعة تخلق شجعان المواقف، فقد أجابه جماعة وقاموا معه إلا أن رجلا من الفئة الثانية انسل مسرعا وأخبر عمر بن سعد الذي أرسل خمسمائة فارس لمنع الأسديين من الالتحاق بالإمام فقاتلوهم وأجبروهم على الجلاء عن المنطقة وهكذا عاد حبيب إلى الحسين عليه السلام مخبرا إياه بالأمر[2].

عاد ليستعد لفخر الشهادة، ومع ذلك فإنه ماانفك يثير الحماس

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) إبصار العين في أنصار الحسين/ ٥٦

والشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل نصرة الدين وقائده الحسين عليه السلام.

وبالرغم من انه يقف في وجه المعسكر الأموي إلا أنه كان لا يترك فرصة إلا وانتهزها في توجيه الجنود لتغيير موقفهم، فها هو قرة بن قيس الحنظلي مقبل إلى مخيم الحسين عليه السلام حاملا رسالة عمر بن سعد ويراه الحسين فيسأل عنه: أتعرفون هذا؟!

فقال حبيب: نعم هذا رجل ممن حنظلة تميم وهو ابن أختنا ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاء قرة وأبلغ الرسالة للإمام فقال له الحسين ــ في جوابه ــ: كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم،فأما إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنهم.

وأراد قرة العودة بهذا الجواب فاستوقفه حبيب:

ويحك يا قرة بن قيس أنى ترجع إلى القوم الظالمين؟! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك[1].

وهكذا فعل أيضا عندما كان مع العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام ساعة حمل جنود ابن سعد، فقد كلمهم قائلا: أما والله لبئس القوم عند الله غدا يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل البيت وعباد أهل هذا العصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيرا.

وكان لابد لهذا الفارس أن يترجل!! لابد له أن يواجه الساعة المنتظرة.. وبينما يتمسك أصحاب الدنيا بثمالة كأس الحياة ويعضون عليها بالنواجذ، فإن لسان حال أصحاب الدين: الرواحَ.. الرواح والجنةَ الجنة، يستأنسون بالموت كأنهم ذاهبون إلى حفلة عرس وأي

---

(١) أعيان الشيعة ٥٥٤/٤ .

عرس!!.

لقد خرج حبيب للمعركة وهو يضحك ويمزح، فقال له برير بن خضير وكان يقال له (شيخ القراء): أخي ليست هذه بساعة ضحك أو باطل، كان برير يظن أن حبيبا يضحك لأنه نسي أن الموقف موقف جدي حيث يصطرع فيه الحق والباطل وحيث تصطلم النفوس.

إلا أن حبيب الواعي، الشجاع، بين له أنه يعرف حراجة الموقف الحاضر ولكنه ينظر إلى فرح المستقبل، فأوضح له قائلا:

ـ فأي موضع أحق بالسرور والله ما هي إلا أن تميل علينا هذه الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور العين[1].

ألم أقل لكم أنهم يمضون إلى عرس حقيقي؟!

وهكذا تسابقوا.. فبرز زهير وبرز مسلم بن عوسجة، وغابت تلك الأقمار في نجيع دمائها ومشى حبيب مع الإمام الحسين عليه السلام مؤبنا حتى وصلا إلى مصرع مسلم وبه رمق الحياة فدنا منه حبيب وقال:

ـ عز عليّ مصرعك يا مسلم ابشر الجنة.

فقال له مسلم بصوت ضعيف: بشرك الله بخير.

فقال حبيب: لولا أعلم أن ي في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

فقال مسلم: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله ـ وأشار بيده إلى الحسين ـ أن تموت دونه.

---

(١) تنقيح المقال ٢٥٢/١ .

ولم يكن حبيب بحاجة إلى هذه الوصية لتصنع فيه دافع النصرة وإن كان التواصي بذاته مطلوبا لتقوية القلوب على الهدى.

وحان وقت صلاة الظهر، وأشار الحسين إلى أصحابه أن يسألوا جند عمر بن سعد أن يكفوا عنهم ليصلوا، ففعلوا فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل.

فثارت الحمية الدينية في قلب حبيب، وقال للحصين: زعمت أن الصلاة لا تقبل من آل رسول الله وتقبل منك يا حمار؟.

وبقدر ما ثارت الحمية الدينية في قلب حبيب، أخذت الحصين عزته بالإثم فحمل على حبيب الذي برز إليه وضرب وجه فرسه فشب به وألقاه فحمله أصحابه واستنقذوه.

ثم برز حبيب وهو يقول:

أنا حبيب وأبن مظهر    فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعد عدة وأكثر    ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر    حقا واتقى منكم وأعذر

وقاتل قتال الأبطال حتى قتل اثنين وستين رجلا، وبينما هو يحمل ضربه بديل بن صريم بالسيف وطعنه آخر من بني تميم برمحه فوقع وأراد أن يقوم فضربه الحصين بن تميم بالسيف مرة أخرى ونزل التميمي إليه فاحتز رأسه.. ليزاد في عطائه مائة درهم!!.

## الرباب بنت امرئ القيس الكلابية

أثيرة الحسين عليه السلام/ توفيت سنة ٦٢ هـ

كيف تحظى امرأة عند زوجها، وكيف تكون أثيرة عنده؟

لعل هذا السؤال، والإجابة عليه هو الهاجس الذي يدور في أذهان الكثير من النساء المتزوجات أو اللاتي سيتزوجن. فأن تحظى الزوجة عند زوجها يعني ذلك أنها قد قدرت على إسعاده، وبذلك ترسم لوحة السعادة في حياتها أيضا.

إجابة هذا السؤال كانت شغل الكثير من النساء، فالبعض منهن سلكن دروبا ملتوية لا تؤدي إلا إلى السراب، كأن تستعين بالشعوذة و (كتابة الكتاب) لتجلب لها قلب زوجها، وتقصره عليها!! وبعضهن سلكن درب الجسم وظنن أن قلب الزوج سيكون بأيديهن لو كان جسدهن فتانا، فحفظن برامج الحمية، وعناوين عيادات التجميل التي أصبحت مسجدا ومزارا يوميا لهن.. وهكذا ضل الكثير منهن الطريق عن الكعبة فإذا به يصل بهن إلى تركستان!

وأمامنا نموذج للنساء اللاتي يردن الوصول إلى سعادتهن وإسعاد أزواجهن.. عنوان الوفاء والحب الذي يفنى فيه الجسد لبقاء القلب والروح، الرباب ابنة امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام، والتي نقل أن الإمام الحسين عليه السلام كان يقول فيها:

لعمـرك إنـني لأحـب دارا    تحـل بها سـكينة والربـاب[1]

ولعل ما رشح من تلك العلاقة بين الزوجين هو جزء صغير مما عليه الواقع، نظرا لطبيعة العلاقة الزوجية والتي تحاط عادة بالكتمـان في تفاصيلها، لكن ما رشح منها يفيد إلى أي مقدار كانت هذه المرأة الصالحة وفية لزوجها الحسين عليه السلام، حتى أنها ماتت كمدا عليه بعد عام.. وقد يتصنع الإنسان الحزن، والبكاء لكنه لا يـستطيع أن يمـوت كمدا لو لم يكن صادقا في مشاعر وفائـه وحزنـه.. ولـنكن مـع هـذه السيدة من البداية.

يأتي أبوها امرئ القيس ـ وقد كان مسيحيا قبلئـذ ـ في عهـد الخليفة الثاني، فيظهر إسلامه مقتنعا بمبادئه وأحكامه، و قبل أن يعود يكون قد أصهر إلى أهل البيت، فإن لم يكن قد لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهـا هو صنو النبي علي عليه السلام، وقد تقدم إليه خاطبا، فما برح حتى زوجه ابنته المحياة، وزوج الحسين ابنته الرباب.

أنجبت الأولى لأمير المؤمنين بنتا صغيرة لم تلبث أن توفيت، بينما كان ثمرةَ زواج الحسين من الرباب، بنت هي سكينة[2] وولد هو عبـد

---

(١) نفى البعض صدور هذا الشعر من الإمام الحسين عليه السلام، ونحن لا نرى هذا النفي في محله، بعدما نقل أغلب أو كل الذين ترجموا للرباب وابنتها سكينة، وليس في معناه ما يمنع الالتزام به، فإن إظهار أهل البيت عليهم السلام حبهم لزوجاتهم ليس مستنكرا فهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عن خديجة إني رزقت حبها . وسيأتي في الترجمات القادمة ما يبين قوة العلاقة والحب بين الزوجات وبين أهل البيت وإظهار المعصومين لذلك .

(٢) المعروف عند المؤرخين أن اسمها أمينة، ولكن غلب عليها اسم

الله الذي قتل في كربلاء صغيرا.

**إلى كربلاء**

لا نجد حدثا غير عادي في حياة الرباب منذ اقترانها بالسبط الثاني عليه السلام، سواء في فترة بقائها في المدينة أو عند انتقالها معه إلى الكوفة أيام أمير المؤمنين. وهكذا في عهد الحسن المجتبى عليه السلام، لكن عندما اضطرب الوضع العام الإسلامي، وقام أبو عبد الله الحسين، ناهضا لنصر دين الله، وإعزاز كلمته، كان الموعد كربلاء.

عادة الثائرين المقاتلين، أنهم يتحملون مسؤولية موقفهم منفردين، فلا يحملون غيرهم تبعات ذلك الموقف، ولذا يحرصون على الفصل بين موقفهم الذي يعنيهم مباشرة ويتحملون مسؤوليته دون غيرهم، وبين أسرهم وعوائلهم فتجدهم يؤمّنون وضع تلك العوائل حتى لا يصيبها خطر أو ضرر على أثر ثورة أوليائهم وذويهم.

غير أن الحسين عليه السلام كان منذ البداية قد صمم على أن تشارك نساؤه في تلك الثورة وأن يكتب لهن شرف تكميل رسالتها. ولذا فقد خرج من المدينة النبوية حاملا معه نساءه وبناته، وأخواته، وجاء إلى مكة المكرمة في بدايات شهر شعبان سنة ٦١ هـ حتى إذا حضر موسم الحج، وقد أحرم بعمرة التمتع، أحل من إحرامه وعدل بعمرة التمتع إلى عمرة مفردة. وساق ظعينته إلى حيث ينتظره الحج الأكبر الذي سيكون فيه هو الضحية وكبش الفداء العظيم للإسلام.

---

(سكينة) بفتح السين وكسر الكاف، ولعل هذا يفسره ما نقل عن الإمام الحسين عليه السلام: أن الغالب عليها الاستغراق مع الله سبحانه وتعالى .

جاء الحسين إلى كربلاء «على قلة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصر»، وأتم الحجة على قوم «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله العظيم»، ولكن كان الدين بحاجة إلى دم يغسل عنه ما تراكم عليه من أوضار شهوات الحاكمين، ووسخ الفقهاء المصلحيين ويوقظ العامة الغافلين.. ومن أصدق من الدم في إعراب المواقف؟

كان الفصل الأول من كتاب عاشوراء، فصل البطولة المدماة، فيها تختلط شهامة الموقف بمواقف الشهامة، وكلمات الشجاعة بشجاعة الكلمة، ويتسابق فيه رجال أعاروا الله جماجمهم ، وباعوه أنفسهم ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[1]

ابن عوسجة، برير بن خضير، وزهير بن القين.. أبطال المصر، وأهل البصائر، قوم مستميتون لا يقف دون الجنة أمامهم أحد إلا حطموه، وكانت النتيجة أن وصلوا فائزين.

وبنو هاشم: شبيه رسول الله، أبناء عقيل، أبناء جعفر، أبناء علي عليه السلام، و حامل اللواء.. وأخيرا بطل الملحمة، ومدار الموقعة الساعي إلى عزه بسيفه، وإلى نصر دين جده بدمه.. خدود تفرت ولم تضرع، ووجوه جفت فيها روح الحياة ولم تخضع وصاروا لمن بعدهم نموذج عز ومثال فخار:

وإن الألى بالطف من آل هاشم

تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

ولم تكن التضحية والشهادة وقفا على الكبار الناضجين، بل

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

كانت دماء الرّضَع أيضا سقاء لشجرة الإسلام، ها هو الحسين عليه السلام يأخذ ابنه عبد الله من يد أمه الرباب لكي يؤذن في أذنه أو يسقيه ماء، فيسقيه القوم شراب السهام، ويؤذن الموت في نحره ويعيده الحسين للرباب كحمامة بيضاء مطوقة بالدم. والرباب الصابرة استقبلت ذلك الذبيح بنفس مطمئنة، مقدمة رسولا لها ينتظرها على باب الجنة لا يدخل حتى تدخل.

❁❁❁

انتهت المعركة العسكرية وبقيت الحرب قائمة وما كان للحرب بين الحق والباطل أن تنتهي وإلا انتهت الحياة..وبدأ الفصل الثاني في ذلك الكتاب وهو فصل: الكلمة الثائرة، وكان هذا هو دور النساء.. اللاتي ( شاء الله أن يراهن سبايا [(١)].

إن مسيرة الألم والسبي التي استمرت أربعين يوما بعد شهادة الحسين عليه السلام ، كانت الصورة المكملة للثورة، ذلك أن الخطابات التي ألقيت في الكوفة وفي الشام كشفت للناس عظم الخطب والمأساة،

---

(١) كلمة قالها الحسين عليه السلام في جواب من سأله بمكة عن سبب حمله للنساء معه، وقد يبدو للنظر أن الأمر فيه جانب جبري وليس كذلك، فإن أهل البيت عليهم السلام وهم رواد الدعوة إلى الاختيار ومسؤولية الإنسان لا يمكن أن يتحدثوا عن الأمور بنحو ينتهي إلى جبرية مخالفة للأصول العقائدية . والمقصود هنا هو كما في الجملة السابقة لها وهي قوله : شاء الله أن يراني قتيلا .. ومعناه أن الله يشاء مشيئة تشريعية أن يدعوني لنصر دينه، فأستجيب لذلك فأكون قتيلا في سبيل الله، ويشاء أيضا أن تستمر هذه المسيرة وتكتمل بدور النساء، فتتحمل النساء تلك المسؤولية فيكن سبايا . للتفصيل يراجع كتاب من قضايا النهضة الحسينية ج ١ للمؤلف .

والداهية التي أصيب بها الإسلام بولاية يزيد عليهم.

ها هو الركب الحسيني في بلاط يزيد، وقد أراد يزيد بن معاوية أن يجعل منهم أمثولة تردع غير الحسين عن التفكير في معارضته، فإذا كان الحسين وهو ابن رسول الله قد صنع به ما صنع، وسبيت نساؤه بهذه الصورة فأية حرمة تبقى لغيره؟

لكن انقلب السحر على الساحر، فإذا بالمجلس يتحول إلى عاصفة من النقد والاستنكار على يزيد، وعلى أعوانه.. وما نقله التاريخ من مشاهد في ذلك المجلس يبين بوضوح كيف أن الحسين عليه السلام كان منتصرا وهو لا يزال عفير التراب.

فقد قام السجاد علي بن الحسين عليه السلام وخطب في الحاضرين ذلك الخطاب الذي نقض فيه غزل يزيد أنكاثا بعد إحكامه. ثم قام زيد بن أرقم[1] وقد رأى يزيدا يضرب ثنايا رأس الحسين عليه السلام بعود خيزران كان معه، قائلا إنه طالما رأى النبي صلى الله عليه وآله يقبل ثناياه.

وأما الرباب فإنها وهي ترى قمر الرسالة في طشت يزيد، ظلت تتطاول للنظر إليه، ثم رثته بأبيات:

واحسينا فلا نسيت حسينا     أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعا     لا سقى الله جانبي كربلاء

❁❁❁

عاد الركب الحسيني محملا بأثقال الألم، إلى جانب أكاليل النصر و تحقيق هدف النهضة الحسينية، واتجه إلى كربلاء..حيث موطن

---

(١) هناك كلام في شهود زيد بن أرقم للحادثة في الشام، وقد تم التعرض إليه في كتاب ( من قضايا النهضة الحسينية (ج ٣ ) .

الذكريات. وهناك التقى عند المصرع بجابر بن عبـد الله الأنـصاري[1] فقد روى الشيخ عماد الدين محمد بـن أبي القاسـم محمـد بـن علـي الطبري في كتابه بشارة المصطفى قصة الحادثة كما يلي:

«أخبرنا الشيخ الأمين أبو عبـد الله محمـد بـن شـهريار الخـازن بقراءتي عليه في مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام في شوال سنة اثنتي عشرة وخمسمائة قال: أملـى علينـا أبـو عبـد الله محمد بن محمد البرسي قال: أخـبرني أبـو طـاهر محمـد بـن الحـسين القرشي المعدل قال: حدثنا أبو عبـد الله أحمـد بـن أحمـد بـن حمـران الأسدي قال: حدثنا أبوأحمد اسحق بن محمد بن علـي المقـري قـال: حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن الأيـادي قـال:حـدثنا عمر بن مدرك قال حدثنا يحيى بن زياد الملكي قال أخبرنا جريـر بـن عبد الحميد عن الأعمش عن عطية العوفي قال:

«خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فلما وردنا كـربلاء دنـا جـابر مـن شـاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزر بأزار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيهـا سـعد

(١) شكك الشيخ المطهري رحمه الله في الملحمة الحسينية بأمر لقاء الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري، وذكرها تحت عنوان التحريفات اللفظية : قصة زيارة الأسراء لقبر الحسين في كربلاء وملاقاة السجاد لجابر وذلك بعد أن وصل الأسرى إلى مفترق طريق بين المدينة والعراق والاستعانة بالنعمان بن بشير لمعرفة طريق كربلاء في حين أن حقيقة الزيارة المعروفة هي زيارة جابر وعطية العوفي لقبر الحسين لا غير . (هذا على فرض كون كل ما جاء في الطبعة العربية المترجمة صحيح النسبة إلى الشهيد المطهري وهو ما نفاه المحقق السيد جعفر العاملي) .

فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه فألمسته فخر على القبر مغشيا عليه فرششت عليه شيئا من الماء فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثا ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه!! ثم قال وأنّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك!! فاشهد انك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حيا وطبت ميتا غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد انك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله وأشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين والذي بعث محمدا بالحق نبيا لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له يا جابر كيف ولم نهبط واديا ولم نعلُ جبلا ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم فقال يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم» والذي بعث محمدا بالحق نبيا إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. خذني نحو إلى أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية هل اوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك أحبب محب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما

أحبهم وابغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواما قواما وارفق بمحب محمد وآل محمد فانه إن تزل له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له أخرى بمحبتهم فان محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار[1].

**إلى المدينة**

أيام قلائل كانت النساء فيها في كربلاء على قبور الأحبة، يفرغن أحزانهن، وآلامهن، عندها نادى زين العابدين عليه السلام بالرحيل، أمام دهشة الجميع الذين كانوا يودون البقاء لفترة أطول، لكن بصيرة الإمام عليه السلام، والذي كان يرى أن البقاء هناك لن يطفئ نار الأسى بل ستزداد استعارا، وربما قضت على حاملها.. فكان يخشى على العقائل العلويات أن يمتن كمدا على القبور.

عادت النساء إلى المدينة ولسان حالهن:

مدينة جدنا لا تقبلينا
فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا
رجعنا لا رجال ولا بنينا

خلفت الرباب وراءها سيد شباب أهل الجنة، ورضيعا احتضنته الأرض، بعد أن أرضعه الأعداء ثدي الموت وقمطوه بدم نحره. عادت الرباب إلى المدينة لتجد بيتها وقد هدمه الحقد الأموي فقد قام عمرو بن سعيد بن العاص الأموي بهدم عدد من بيوت بني

(١) بشارة المصطفى ص ٧٥

هاشم، من بينها بيت الحسين الذي كانت تسكن فيه الرباب[1] عادت ليس لها من أنيس إلا ذكرى كطيب الربيع من الحسين، ولا رفيق لها سوى الدموع التي لم تستطع أن تساير حجم الحزن في قلبها فجفت، أُعلمت أن السويق يدر الدمع، فأمرت أن يصنع لها السويق لاستدرار الدموع.وكانت ترثيه بقولها:

إن الذي كان نورا يستضاء به
بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط الرسول جزاك الله صالحة
عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن
يغني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهرا بصهركم
حتى أغيب بين الرمل والطين

وفعلا فلم تكن تبتغي صهرا غير صهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد خطبت بعد خروجها من عدها، وكان جوابها: ما كنت لأبتغي حموا بعد رسول الله.

(1) شرح الأخبار للقاضي المغربي ٣/ ٢٦٩

ظلت ذكرى الحسين تؤرق نفسها، وهي زادها من الدنيا!! هل رأيت كيف يكون الألم زادا؟ وكيف تكون المعاناة معونة؟.. ولم يكن الجسم الذي فارقت روحه الحسينية قالبه ليمكث كثيرا في الأرض، بل غادر لاحقا بروحه، محشورا مع الحسين عليه السلام، غادرت السحابة البيضاء[1] النقية سماء الدنيا بعد أن أمطرتها وفاءا وصفاء، ماتت الرباب في السنة الثانية لشهادة سيد الشهداء..

فسلام عليها وعلى ابنتها سكينة، وعلى ابنها عبد الله المقتول المصعد بدمه إلى السماء.

(١) معنى رباب : السحاب الأبيض المحمل بالمطر

# طوعة جارية الأشعث بن قيس

مليارات من البشر، عبروا قنطرة التاريخ من العدم إلى الفناء، مروا.. بعضهم رافق مرورَه على تلك القنطرة (مدة حياته) ضجيجٌ وطبول، وبعضهم مروا بهدوء لم يشعر بهم حتى الأقربون وانسلوا بصمت، منهم من عشق الخير وعمل له، وسعى فيه.. ومنهم من يمثلهم قول الشاعر:

وكنت إذا حللت بدار قوم

رحلت بخزية وتركت عارا

لكن الجميع قد رحلوا، وانتهى ذكرهم، وجاء غيرهم ورحل.. إنما الذي بقي من أولئك مواقفهم.

والعجيب أن الناس في مدة حياتهم يصرفون جهدهم ومالهم وينفقون عمرهم على ما لا يبقى في الذاكرين، ولا ينتفع به الناس، و ينصرفون عن الباقي والخالد.. تلك الاختصاصات التي يحرصون عليها يفنيها التراب، و لا يهم أحدا ذكرها هي عند البعض خلاصة الحياة، فتراه يهتم بفرق شعره ، وبطريقة لبس هذا الثوب أو ذاك، ويسعى برهة من الزمان لتغيير رقم هاتفه مثلا ليكون متشابها أو متسلسلا، ويصرف أموالا طائلة ليكون لون سيارته بهذا النحو تماما لا بغيره.. ويغرق في تفاصيل التفاصيل، وكم يصرف من عمره لأجل ذلك!! لكن هذه لا تلبث أن تنتهي بنهايته فلا يعود يذكرها أحد، ولا تنفعه في غد.

ويعقل آخرون معنى الحياة، وأن هذه المدة ليست إلا مؤقتة (فاعبروها ولا تعمروها)، وأنها ليست سوى مدة قصيرة، لا تستوعب الاهتمام بالصغائر والتفاصيل، بل على المرء أن يبادر بسرعة لمعرفة الاتجاه الصحيح، فيعمل فيها بجد ومثابرة، ولن يترك له الأجل مزيدا من الوقت، فليملأها بالعمل الصالح والمواقف الطيبة.

ولا يختلف في ما سبق الرجل والمرأة، والسيد والعبد، والعربي والمولى..فمن يفهم المعادلة يصعد، ومن ينشغل في التوافه، والأمور الصغيرة ينته إلى الكارثة، عندما يجد نفسه، وقد أنفق المال وأهم منه العمر فيما لا ينفع، فكأنها كانت بيوت رمل لعب بها الأطفال على ساحل البحر حتى إذا جاءت الموجة لم تبق منها حتى الأثر!!

وحكم الزمان عادل، فإذا كان يمكن خداع أهله لمدة من الوقت بمظاهر كاذبة إلا أن ذلك لا يستمر طويلا..تبقى المواقف الطيبة إضمامة عطر يتضوع، وإشراقة نور يتموج، و (هدى ورحمة لقوم يؤمنون).. تنتصب كعمود ضياء في أفق الدهر، لا يعتريها الليل، ولا يستبد بها الظلام.

بينما تُسجل مواقف الخائنين والكاذبين والظالمين، علامة على مدى الاسفاف، الذي يمكن أن ينحدر إليه كائن إنساني فـ (يفسد فيها ويسفك الدماء).. وهذه أولى المحاكم التي تنصب، قبل محكمة العدل الإلهي الكبرى في يوم القيامة..

ولو أردت نموذجا يبين لك الصورتين، فستجده في حياة المرأة الصالحة طوعة..

من هي طوعة؟ علو النسب والانتماء إلى هذه القبيلة هو من الأمور التي تسفك فيها الدماء، وتتسبب في الحروب، ولكن ذلك في ميزان القيامة لا قيمة له إذ «كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا

نسبي وسببي»[1] كما روي عن رسول الله ﷺ. لم يعرف عنها إلا أنها كانت جارية للأشعث بن قيس، وهو النموذج المقابل تماما لهذه المرأة.

الأشعث بن قيس من زعماء كندة!! وهذا اللقب (زعيم) هو الذي يدير الرؤوس، وكل ما فعله في حياته لصيانة هذا اللقب!! ألم أذكر لك عزيزي القارئ، أن من الناس من يستفرغ حياته في ما لا يبقى؟ لعب الرجل بالسياسة والدين، وقامر بالمواقف والمذهب!! ولم يكن مهما عنده أن يرتد منقلبا على عقبه عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ليحقق زعامته المطلقة على قومه!! ثم لم يبال أن يدل على قومه السيف ليصون وضعه مع الخليفة الجديد! وأن يتزوج ويزوج..فهذه السوق يجوز فيها كل شيء ما دام الغرض هو الوصول إلى زعامة اليمن! بل ليس مهما عنده أن تضيع الرسالة في صراع على الرئاسة ولأجل تقديم الولاء القبلي، و «لئن يحكما فينا ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن ـ يقصد أبا موسى الأشعري ـ أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضريان»!!

ليس مهما أن يتغلب الخبث العاصي على السذاجة الأشعرية، فينتجا ضعفا في كيان الإسلام، وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام، إنما المهم عند الأشعث أن تكون القبيلة هي المتقدمة، وزعيمها نافذ الكلمة فيها، ثم ليذهب غير ذلك إلى الدمار. ولقد رسم أمير المؤمنين عليه السلام صورة ناطقة لهذا الرجل عندما قال له: «عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن كافر، والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا نسبك، وإن امرأ دل على قومه السيف وساق إليهم الحتف

(١) بحار الأنوار ٧ / ٢٣٨

لحري أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد»[١].

وساقه هم نفسه، وشهوات ذاته، وأموره الصغيرة الأخرى، إلى شق معسكر الإمام، وتكوين الخوارج، وبعدها شارك في التآمر مع ابن ملجم المرادي على قتل أمير المؤمنين عليه السلام .

هذا الشخص المفتخر بأموره الصغيرة، والتي يراها كبيرة في عينه، ويتوقع أن يراها الآخرون كذلك، وربما فعل بعض الغافلين ذلك وقالوا «يا ليت لنا مثل ما أوتي..»، إلا أن الرساليين وأولو الألباب لا يرون في ذلك ميزة، ولا لونا ولا رائحة، ولهذا لما قال الأشعث لأمير المؤمنين عليه السلام: غلبتنا هذه الحمراء ـ يقصد الموالي غير العرب ـ عليك..غضب منه الإمام وقال: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة؟؟ ـ أي ضخام الجثة والذي لا نفع فيهم ـ يتخلف أحدهم يتقلب على فراشه وحشاياه كالبعير، ويهجر هؤلاء للذكر..أطردهم! إني إذن لمن الظالمين.

أراد الرجل أن يشتري بسمنة جسمه، وما نسجته أضراسه على هيكله من شخصية،وما اشتراه من (شرف) الثياب، والعباءة، موقعا متقدما على المؤمنين، الذي لم يكن لهم من (ميزات) النسب في عرف الجاهليين شيء يذكر، لم يكن نسبهم غير الإسلام، ولا شرفهم غير التقوى، كانوا موالي..غير عرب، فجدوا لكي يصنعوا بأعمالهم لهم شرفا، وحسبا ونسبا، وتخلف هؤلاء الذين يدعون الشرف القبلي، والذين لا يعتنون بغير الأفخاذ والعشائر، فكان أن صار «سلمان منا أهل البيت» بينما ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢].
وسبحان الله، فإن الرجل الذي كان يتميز غيظا من الموقع الذي

(١) نهج البلاغة
(٢) سورة المسد: ١

اختص به الحمراء، والموالي ، والجواري، بعملهم، بينما قصر به عمله، كانت له جارية اسمها طوعة، من أولئك الذين لا همّ لهم في التشرف بالنسب والعظام البالية، ومن الذين اعتبروا في عرف السادة العرب، ذوي درجات دانية في السلم الاجتماعي، هذه المرأة يقدر لها وعيها، وحسن موقفها، أن تدخل التاريخ فاتحة، مغبوطة، وأن تكون (الرجل) الوحيد بين ألوف (النساء) من رجال أهل الكوفة (العبارة ليست خطأ!!). أعتقها الأشعث بعدما كانت مملوكة له، وليته أعتق ـ بدلا من جاريته ـ نفسه من شحها، وبخلها، وجهلها، وشهواتها.

طوعة التي لا نعرف عن نسبها الكثير، تزوجت بعد أن أعتقها من بقي في رق نفسه، فتزوجها رجل يقال له أسيد الحضرمي..

من هو أسيد زوجها؟ لا يبدو أنه من غير الكم المهمل في التاريخ، فلا ينقل عنه شيء استثنائي من موقف أو غيره، وأنجبت منه ولدا يقال له بلال.. لم يذكره التاريخ إلا بلعنة التجسس، والعمل عند الظالمين، وشراء الدين بثمن بخس.. لا أول له، ولا آخر، و إذا ذكر فإنما يذكر باللعنة! وفي هذا عبرة، فلا شك أنه عاش مدة من الزمان، وأكل وشرب، وتزوج، وصادق أناسا، وفارق آخرين، وكسب مالا وخسر غيره، ولبس من الثياب، وسعى هنا وهناك، لكن هذه الأمور كلها تنتهي، ويبقى للإنسان موقفه، فيبقى به درسا للأجيال كما كانت أمه طوعة، أو لعنة على الأفواه كما كان هو.

وكانت طوعة على موعد مع الخلود، والجنة.. حين اختارت لنفسها نصرة الحق، وإيواء مسلم بن عقيل سفير الحسين ورسوله إلى الكوفة، بعدما تخاذل (أسود الشرى في الدعة، والثعالب الرواغة حين البأس)، أسماء أفنت حياتها في التوافه..الشرف المشترى بالملابس الفاخرة!! والحسب المأخوذ بالانتماء الاجتماعي!! وهياكل الأجساد التي تخبئ تحتها قلوبا بلا موقف، وأدمغة بلا بصيرة.. كل تلك

صنعت فاجعة الهزيمة، وانتصر باطل ابن زياد ـ على قلة عدده ـ على جموع أهل الكوفة، وفيهم كما تقول الأخبار (الأشراف) والعدد الكبير!!

وإذا كانت كل تلك الجموع قد خرجت من الذاكرة، إما نهائيا وإما خرجت تشيعها لعنة المواقف الخائنة للرسالة، فإن اسما ظل مكتوبا بأحرف من نور على جبين الدهر، لامرأة علمت التاريخ أن الصورة الخارجية، والعنوان العام للإنسان (كونه أنثى أو ذكرا) ليس هو الذي يصنع له المجد، وإنما الموقف الذي يتخذه من الحق والباطل..

نعم بعدما سقط من يملكون (أدوات الرجولة)، أمام الخوف، والطمع..كان لهذه المرأة موقف وأي موقف. ولكي تطلع عزيزي القارئ على الجو العام الذي ساد في الكوفة وهي تمخض بالحوادث، بعد قدوم مسلم ابن عقيل إليها رسولا من الحسين عليه السلام، ومبايعة الناس له ثم مجيئ عبيد الله بن زياد واليا من قبل يزيد، ليستلم من النعمان بن بشير إمارة الكوفة، والصراع الذي دار بين ذوي الأهواء الأموية، وعبدة الطاغوت والساجدين للسلطان ـ أيّا كان ـ من جهة، وبين أصحاب المواقف الذين ناصروا مسلما ودفعوا حياتهم القصيرة ثمنا لحياتهم الدائمة، وربح بيعهم كهاني بن عروة، وأصحاب الدين والجهاد كشريك الأعور..وبين هؤلاء وهؤلاء ترى مواقف الأكثرية عندما تفكر في عاجلها، وتنسى مستقبلها، عندما تنهزم أمام الباطل نقدا وتريد أن تنصر الحق نسيئة!! عندما يختلف ما في قلوبها عما على سيوفها، وعندما تفكر في صغائر الأمور فتسقط من التاريخ والجغرافيا، والحاضر والمستقبل..

دعنا نستمع إلى الأزدي لوط بن يحيى، المؤرخ الذي عاصر الأحداث: «وسوف نستغني عن ذكر بعض أسانيده، ونقتصر على أصل الخبر، ونشير إليه بين هلالين»: ها هو ابن زياد قد أقبل إلى

الكوفة متخفيا تحت عمامة حجازية وعباءة يمنية، ودخل قصر الإمارة عازلا النعمان بن بشير، ومسلم بن عقيل في بيت هاني بن عروة زعيم مذحج، وأحد رجال المواقف البطولية، وبدأ عبيد الله بما لديه من طرق المكر والخبث والكذب يحاول السيطرة على الكوفة، فرأى أول شيء أن يعتقل هاني بن عروة المرادي، حيث كان بيته بمثابة محل قيادة للعمل الحسيني. فجمع أصحابه و قال لهم: « ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا قالوا: ما ندري أصلحك الله وانه ليشتكي قال: قد بلغني انه قد برأ وهو يجلس على باب داره فالقوه فمروه ألاّ يدع ما عليه في ذلك من الحق فاني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب فاتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير فانه قد ذكرك وقد قال لو أعلم انه شاكٍ لعدتُه. فقال لهم: الشكوى تمنعني فقالوا له: يبلغه أنك تجلس كلٍ عشية على باب دارك وقد استبطأك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان أقسمنا عليك لما ركبت معنا.

فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر كان نفسه أحست ببعض الذي كان فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يابن أخي إني والله لهذا الرجل لخائف فما ترى؟

قال: أي عم والله ما أتخوف عليك شيئا ولِمَ تجعل على نفسك سبيلا وأنت بريئ؟ وزعموا أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله فأما محمد فقد علم به. فدخل القوم على ابن زياد ودخل معهم فلما طلع قال عبيد الله أتتك بخائن رجلاه وقد عرس عبيد الله إذ ذاك بأم نافع ابنة عمارة بن عقبة فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه فقال:

أريد حباءه ويريد قتلي     عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان له أول ما قدم مكرما ملطفا.

فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير قال: إيه يا هاني بن عروة ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين جئتَ بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت أن ذلك يخفى علي؟؟

قال: ما فعلت وما مسلم عندي!

قال: بلى قد فعلت. قال: ما فعلت.

قال: بلى.

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلاّ مجاحدته ومناكرته دعا ابن زياد معقلا ذلك العين فجاء حتى وقف بين يديه فقال: تعرف هذا؟

قال: نعم. وعلم هاني عند ذلك انه كان عينا عليهم وانه قد أتاه بأخبارهم فسقط في خلده ساعة ثم إن نفسه راجعته فقال له: اسمع مني وصدق مقالتي فو الله لا أكذبك والله الذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالسا على بابي فسألني النزول علي فاستحييت من رده ودخلني من ذلك ذمام فأدخلته داري وضفته وآويته وقد كان من أمره الذي بلغك فان شئت أعطيت الآن موثقا مغلظا وما تطمئن إليه ألا أبغيك سوءا وان شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك وانطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال: لا والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به.

فقال: لا والله لا أجيئك به أبدا أنا أجيئك بضيفي تقتله!

قال والله لتأتيني به. قال: والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره.

فقال: أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أكلمه لما رأى لجاجته وتأبيه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلما فقال لهاني: قم إلى هاهنا حتى أكلمك فقام فخلا به ناحية من ابن زياد وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما إذا رفعا أصواهما سمع ما يقولان وإذا خفضا خفي عليه ما يقولان.

فقال له مسلم: يا هاني إني أنشدك الله أن تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك فوالله إني لأنفس بك عن القتل! وهو يرى أن عشيرته ستحرك في شأنه أن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه فادفعه إليه فانه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان!!.

قال: بلى والله إن علي في ذلك للخزي والعار!! أنا ادفع جاري وضيفي وأنا حيٌّ صحيح أسمع وأرى شديد الساعد كثير الأعوان؟! والله لو لم أكن إلا واحدا ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه فأخذ يناشده وهو يقول والله لا أدفعه إليه أبدا.

فسمع ابن زياد ذلك فقال أدنوه مني فأدنوه منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك!

قال: اذاً تكثر البارقة حول دارك.

فقال: وا لهفا عليك أبالبارقة تخوفني؟ وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه.

فقال ابن زياد: أدنوه مني فأدني فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الرجال وجابذه الرجل ومنع.

فقال عبيد الله: أحروري[1] سائر اليوم أحللت بنفسك قد حل لنا قتلك خذوه فالقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه واجعلوا عليه حرسا ففعل ذلك به»[2].

هاهو السيناريو المتكرر في كل الأدوار التاريخية ، سلطان يتوسل بالجواسيس من جهة، ويخادع ذوي (الشرف) المصنوع، فيتوهمون أن لهم منزلة عنده، وأن لهم كلمة يمكن أن يعتمد عليها، وما علموا لفرط إعظامهم لأنفسهم، أنه لا وفاء له غير الوفاء لملكه، ولا كلمة تعجبه غير استكانة من تحته، ولا شيء يهمه كعرشه.. هو الذي لا يهتم بكلمات الله وقوانينه، كيف يهتم بكلمات رعيته، والمرتزقين على بابه؟

يسعى هؤلاء للوساطة، ويحاولون إقناع أهل الحق بالتنازل عن قضاياهم، انظر إلى طريقة حديث مسلم الباهلي الدلال والسمسار.. ليس غريبا عليه أن يعزف تارة على وتر (حياته) وأنه سيقتل، وأنه يخاف عليه من ذلك، ويخاف على عشيرته، وعلى زعامته إياها.. فمن الأفضل له أن يسلم مسلما إلى ابن زياد.. ثم إن ابن زياد لن يصنع به شيئا، وإنما سيطلبه لكي يكرمه وليس بضاره.. هكذا في عرف هؤلاء الدلالين كل شيء يجوز في هذه السوق التجارية، الكذب والخديعة وتزوير الحقائق وبيع الدين.!! ولنفرض أن الأمر يجر إلى إيذائه فما في ذلك؟ إنما هو سلطان ودفع المجرم إلى السلطان لا ضير فيه!! أرأيت كيف تكون المغالطة؟

«فقام إليه حسان بن أسماء بن خارجة فقال: أرسل غدر سائر اليوم أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك

---

(١) يعني صرت من الخوارج !!
(٢) مقتل الحسين للازدي

هشمت وجهه وسيلت دمه على لحيته وزعمت أنك تقتله؟!.

فقال له عبيد الله: وإنك لها هنا فأمر به فلُهز وتُعتع به ثم ترك فحبس.

وأما محمد بن الأشعث فقال: قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا إنما الأمير مؤدب!!.

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانيا قد قُتل فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ثم نادى أنا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة.

وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل فأعظموا ذلك فقيل لعبيد الله: هذه مذحج بالباب فقال لشريح القاضي ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثم اخرج فأعلمهم انه حي لم يقتل وانك قد رأيته فدخل إليه شريح فنظر إليه.

قال شريح: دخلت على هاني فلما رآني قال: يا الله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي؟؟ فأين أهل الدين وأين أهل المصر تفاقدوا؟ يخلوني وعدوَّهم وابنَ عدوهم؟؟ والدماء تسيل على لحيته اذ سمع الرجة على باب القصر وخرجت واتبعني فقال:

يا شريح إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إن دخل على عشرة نفر أنقذوني.

قال فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكر الأحمري أرسله معي ابن زياد وكان من شرطه ممن يقوم على رأسه وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به فلما خرجت إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حي وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلا.

فقال عمرو وأصحابه فأما إذ لم يقتل والحمد لله ثم انصرفوا».

وهكذا قام الباهلي بدوره في المرحلة الأولى ومن معه كمحمد بن الأشعث حتى إذا انتهى دورهم رماهم كعقب السيجارة من دون تأمل فيما أعطاهم من (مواثيق)!!، وجاء دور القضاة المرتزقة واللابسون قفطان الدين ليخذلوا الجمهور..وهل قضى على الدين الحقيقي غير بلعم بن باعوراء وأمثاله المنسلخين عن آيات الله والمتصلين بآلات الشهوات.؟؟ ولا يغرنك مقالته أنه لولا مكان حميد الأحمري لأبلغ أصحابه بما أراد هاني، فإن ذلك من التزوير على الناس أيضا، وهو صناعة هذا الصنف من فقهاء السلاطين، فهم يريدون رضا الناس ورضا السلطان الظالم، ويريدون الدين ويعبدون الدنيا، ويؤيدون الحكم الطاغي اليزيدي وأيضا يتمنون أن يحظوا لدى الثائرين عليه.. وهذه مما لا تجتمع. نعم يفيدنا ذلك علما أن ابن زياد كان يعلم بعدم الإخلاص عند هؤلاء، وأنهم باعة، يبيعون في السوق ما ينفق فيها، لذلك بعثه معه تهديدا له وتجسسا عليه.

«ثم لما ضرب عبيدالله هانيا وحبسه خشي أن يثب الناس به فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه فحمد الله وأثنى عليه.

ثم قال: أما بعد أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتجفوا وتحرموا. إن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمَّارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل.. قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعا وأغلق أبوابه. قال أبو مخنف حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن حازم قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هاني قال: فلما

ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه يا ثكلاه!!

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله وقد بايعه ثمانية عشر ألفا وفي الدور أربعة آلاف رجل فقال لي: ناد يا منصور أمت.. وناديت يامنصور أمت!! وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه.

فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزير الكندي على ربع كندة وربيعة وقال: سر أمامي في الخيل ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وقال انزل في الرجال فأنت عليهم وعقد لابن ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة ثم أقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب.

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن أبي إسحاق عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلثمأة قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا فو الله ما لبثنا إلا قليلا حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يثوبون حتى المساء فضاق بعبيد الله ذرعه وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر ليس معه إلا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون رجلا من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الرومين وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن حصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل و يخوفهم الحرب ويحذرهم

عقوبة السلطان وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشا إليهم لقلة عدد من معه من الناس وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن جناب الكلبي أن كثيرا لقي رجلا من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فاخبره خبره فقال لابن زياد إنما أردتك قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك. فأمر به فحبس وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه فأخذه فبعث به إلى ابن زياد لحبسه فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبدالرحمان بن شريح الشبامى فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ويتأخر وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد الأشعث قد حلت على ابن عقيل من العرار فتأخر عن موقفه. فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم فقال له كثير وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك.

فاخرج بنا إليهم فأبى عبيد الله وعقد لشبث بن ربعي لواءا فأخرجه. وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء وأمرهم شديد فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ثم قال: أشرفوا على الناس فمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة وخوفوا أهل

المعصية الحرمان والعقوبة وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم. فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فان هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهدا لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع وأن يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من الله المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا فلما سمع مقالتهم الناس أخذوا ينصرفون».

ها أنت ترى بوادر الانكسار، وتراجع المجتمع عن حقه وركونه إلى صغائر أموره، وها أنت ترى كيف يبيع (الضياطرة) كما سماهم أمير المؤمنين عليه السلام كرامة الناس، ودين الله، وأهداف الثورة الحسينية، من أجل أن يحصلوا على حطام من الاحترام، وفتات من التكريم، لن يصل إليهم. لأن المهمات تتابع، والبيع لا يقف عند حد، فهذا اليوم يطلب منهم التخذيل، وغدا سيطلب منهم الشخوص لحرب الحسين ولن يستطيع أحد منهم التخلف ـ حتى لو كان على غير قناعة بالقتال، أو كان يحب البقاء ـ فإن حبل هؤلاء مشدود آخره بيد السلطان، ولن يرخيه حتى يستنزفهم بالكامل، وهذا ما علمه عمر بن سعد متأخرا، فلم يحصل على الري، ولا على الزعامة في الكوفة، وهكذا ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1].

هل تجد لهذه الأسماء التي ذكرت آنفا شيئا من الدنيا؟؟ دع عنك

---

(١) سورة الحج: ١١

الآخرة فهم لم يعملوا لها.

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف فيذهب به فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفسا في المسجد حتى صليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفسا فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجها نحو أبواب كندة فلما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان والتفت فإذا هو لا يحس أحدا يدله على الطريق ولا يدله على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا.

وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءا فدخلت فسقته فجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟

قال: بلى قالت: فاذهب إلى أهلك فسكت ثم عادت فقالت مثل ذلك فسكت ثم قالت له: سبحان الله يا عبد الله فمر إلى اهلك عافاك الله فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك.

فقام فقال يا أمة الله مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد اليوم؟

فقالت يا عبد الله وما ذاك قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني!

قالت: أنت مسلم قال: نعم قالت: ادخل فأدخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه فقال: والله ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إن لك لشأنا.

قالت يا بني: ألهَ عن هذا!!

قال لها: والله لتخبرني قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء فألح عليها فقالت: يا بني لا تحدثن أحدا من الناس بما أخبرك به وأخذت عليه الأيمان فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت زعموا أنه قد كان شريدا من الناس. وقال بعضهم كان يشرب مع أصحاب له.

ولما طال على ابن زياد وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتا كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحدا فأشرفوا فلم يروا أحدا قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم فنزعوا تخاتج[1] المسجد وجعلوا يخفضون شعل نار في أيديهم ثم ينظرون هل في الظلال أحد وكانت أحيانا تضيء لهم وأحيانا لا تضيء لهم كما يريدون فدلوا القناديل وأنصاف الطنان تشد بالحبال ثم تجعل فيها النيران ثم تدلى حتى تنتهي إلى الأرض ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر. فلما لم يروا شيئا أعلموا ابن زياد ففتح باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة وأمر عمرو بن نافع فنادى ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة

---

(١) جمع تخته : فارسية معربة بمعنى الخشب العريض

صلى العتمة إلا في المسجد فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ثم أمر مناديه فأقام الصلاة. فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس أو يصلي بهم غيرك ودخلت أنت فصليت في القصر فاني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك فقال: مُر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون ودر فيهم فاني لست بداخل إذا.

فصلى بالناس ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديته اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا.. يا حصين ابن تميم ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث مراصدة على أفواه السكك وأصبح غدا واستبرِ الدور وجُس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل وكان الحصين على شرطه وهو من بني تميم.

ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث فقال مرحبا بمن لا يُستغش ولا يُتهم ثم أقعده إلى جنبه وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل فغدا إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه.

قال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فساره فقال له ابن زياد: ما قال لك؟

قال: اخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعيد بن زائده بن قدامة

الثقفي: أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلا كلهم من قيس، وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف انه قد أتى فخرج اليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه فشد عليهم كذلك.

فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وأشرع السيف في السفلى ونصلت لها ثنيتاه فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت فاخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب ثم يقبلونها عليه من فوق البيت فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتا بسيفه في السكة فقاتلهم فاقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى لك الأمان لا تقتل نفسك!! فاقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرا

وإن رأيت الموت شيئا نكرا

كل امرئ يوما ملاق شرا

ويخلط البارد سخنا مرا

رد شعاع الشمس فاستقرا

أخـــــاف أن اكـــــذب أو أغـــــرا

فقال له محمد بن الأشعث: انك لا تكذب ولا تخدع ولا تغـر!! إن القـوم بنـو عمـك وليـسوا بقاتليـك ولا ضـاربيك وقـد أثخـن بالحجارة وعجز عن القتال وانبهر فاسند ظهره إلى جنب تلك الـدار فدنا محمد بن الأشعث فقال: الأمان!!

فقال: آمن أنا؟

قال: نعم.

وقال القوم:أنت آمن.. غـير عمـرو بـن عبيـد الله بـن العبـاس السلمي فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضـعت يـدي في أيـديكم وأتى ببغلة فحمل عليها واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه مـن عنقـه فكأنه عند ذلك آيس مـن نفـسه فـدمعت عينـاه ثم قـال: هـذا أول الغدر!

قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس.

قال: ما هو إلا الرجاء أين أمانكم إنا لله وإنا إليه راجعون وبكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إن من يطلب مثل الـذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك!

قال:إني والله ما لنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي وان كنـت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكن أبكي لأهلي المقبلين. أبكي لحسين وآل حسين.

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبـد الله إني أراك والله ستعجز عن أماني فهل عندك خير تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ حسينا فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلا أو

هو خرج غدا هو وأهل بيته وإن ما ترى من جزعي لذلك فيقول: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتى تقتل وهو يقول: ارجع بأهل بيتك ولا يغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد آمنتك».

ولأنت عزيزي القارئ تستطيع أن ترصد الأجيال الثلاثة في عائلة الأشعث، فالأب هو الأشعث بن قيس، رجل دخل سوق البورصة السياسية، فكان يتاجر بكل شيء لأجل زعامة اليمن، بالكفر مرة وبالإسلام أخرى وبالارتداد ثالثة، وبدم أصحابه رابعة، وبشق معسكر أمير المؤمنين خامسة، وبتأسيس الخوارج وبقتل علي عليه السلام.. في سبيل هدف الزعامة والرئاسة لا يهم نوعية الوسيلة التي تستخدم!! كم من الأرواح قد ذهبت في هذه المدة القاتمة التي تشكل عمره، ليس مهماً..

ومحمد بن الأشعث، يتآمر على هاني بن عروة المرادي المذحجي، وهو من عرب اليمن أيضا لو كان يريد التفكير بمنطق القبيلة، فيأتي به حتى يسلمه إلى ابن زياد ليشتر وجهه ويعترض أنفه بحديد حتى يهشمه، (هل كان هناك صراع زعامة أيضا وكان يطمح إلى أن يكون زعيم مذحج؟) حتى إذا اعترض أسماء بن خارجة لأنه لم يعلم بالمخطط المرسوم، أدلى له بعذر بارد وهو أننا نرضى بحكم الأمير علينا أو لنا؟ وكان عليه أن يرضى بحكم الحق لا الأمير.

وثالث القوم في نفس المضمار، عبد الرحمن ابنه، أيضا يبدأ دوره السياسي باستقبال خبر الوشاية على مسلم من شاب سكير عربيد، ينتظر بضعة دراهم لكي يشتري له ما يغيبه عن هذه الدنيا من

شراب، وسبحان الله الذي جعل النفوس مراتب ودرجات.. بين هاني بن عروة الذي يقول: مسلم ضيفي وأنا قد أجرته ولا أستطيع أن أسلمه إليك حتى لو قتلت، هذا وهو في أيدي الحاكم، وهم يعلمون أنه في بيته.. بينما هذا ... لا يعلم أحد أنه في بعض دورهم، إلا ذاك الشاب الأخرق الذي كان يكفيه أي شيء، فإذا بابن الأشعث يتصرف على هذا النحو؟؟ ويبالغ هؤلاء في الحمق أو التحامق حين يتصورون أن تفانيهم في طاعة من لا يستحق، وذلتهم أمام من لا قيمة له سوف تكسبهم موقعا وتجعل لهم دالة عليه، وأراد ابن الأشعث أن يجرب هذه المرة أن يعطي لنفسه حق الأمان والإجارة (وهو أمر يستطيعه أي واحد من المسلمين حتى مع الكفار ولا يحتاج إلى منزلة أو شخصية) فإذا بابن زياد يحرمه حتى من هذا المقدار!!

واقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكير إياه فقال: بُعدا له.

فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه فقال عبيد الله (بن زياد): ما أنت والأمان كأنّا أرسلناك تؤمنه! إنما أرسلناك تأتينا به!!.

فسكت وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب. قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعد: أن مسلم بن عقيل حين انتهى إلى باب القصر فإذا قلة باردة موضوعة على الباب فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء.

فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها لا والله لا تذوق منها

قطرة أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم!

قال له ابن عقيل: ويحك من أنت؟

قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته ونصح لإمامه إذ غششته وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته.. أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال ابن عقيل: لأمك الثكل ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني ثم جلس متساندا إلى حائط.

ثم كان ما ينتظره من أشرف الموت وهو القتل، ومضى على منهاج أهل البيت الذين كانت الشهادة كرامة لهم من الله، والقتل لهم عادة.

❀❀❀

بين تلك الجموع من أصحاب اللحى والشوارب المنهزمين الذين تخاذلوا أمام الباطل نقدا ولم ينصروا الحق حتى نسيئة، لم يكن هناك رجل، الرجل الوحيد كان (طوعة) المرأة العجوز التي اشترت بموقفها الشجاع خلود الدهر ثناءً وحمدا، ويوم القيامة جنات وغبطة..

مضى الجميع على قنطرة التاريخ إلى العدم، وامّحت التفاصيل والأمور الصغيرة..الدراهم التي استلمها بلال الخائن الواشي، والمقام والمكانة التي كان يرجوها ابن الأشعث، والمزايدة الكاذبة على الولاء الأموي الذي كان يظهرها الباهلي..كله قد انتهى بعد أن أنهي العمر الحقيقي لأولئك، وأضاع عليهم فرصة الانتماء إلى معسكر الخالدين دنيا وآخرة..

وبقي من أولئك امرأة انتمت حين تنصل الآخرون، ونصرت حين خذلوا، وآوت حين أسلموا مسلما إلى غربته وظلام الليل..

فهنيئا لها، وهي الصاعدة من تلك الأجواء الدانية في بيت الأشـاعثة، وهنيئا له وهـي الـصامدة علـى الـولاء الحـسيني، والمؤيـدة لـسفير الحسين، في مجتمع كان قرار شهواته الهزيمة، والانهيار.

## أم وهب قمر بنت عبد

(من النمر بن قاسط )

شهيدة كربلاء ٦١ هـ

بين حدي الجمود الكامل، والانفلات من القيم وئدت المرأة المسلمة.

في الحد الأول عاشت المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، مهمشة لا وعي لها حتى تتحرك، ولا ثقة لها بنفسها حتى تنهض، ولا دور لها في الإصلاح الاجتماعي.. فهي غير متعلمة، غير واعية، وغير قادرة بالتالي. وساهم في كل ذلك وجود فهم خاطئ عن التعاليم الإسلامية، هو فرع عن الفهم الخاطئ الذي ساد في عصور التخلف عن كل الإسلام، وفي جميع مناحيه..فإذا بهذا الدين الحيوي المتحرك، الذي يصنع الحضارات، ويحي الأرض بعد موتها، إذا به هو نفسه يموت في نفوس أتباعه.

وشهدنا كيف تحولت العبادات وهي بوتقات لصناعة الإنسان الجديد، ذي القدرة على محاربة الشهوات، والمؤتمر بالمعروف المنتهي عن المنكر والفحشاء، والمتقي على أثر الصوم، المتطلع إلى وحدة إنسانية تترفع على حواجز اللون والوطن ، على أثر الحج..المتكافل صاحب الأحاسيس ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[1].

---

(١) سورة الليل: ١٨

وإذا بتلك العبادات تفقد روحها في نفوس المسلمين، وتفارق أثرها، وهدفها، فالصلاة موجودة ولكن لا يوجد الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، ولا توجد الصلة الرابطة بين العباد وبين ربهم ومجتمعهم، والصوم موجود ولكن التقوى مفقودة، والحج موجود ولكنه طقوس، وأفعال ظاهرية خالية من المحتوى الداخلي.. وخلاصة الأمر لقد فُرغت العبادات من محتواها الداخلي، وأُكد على مظاهرها الخارجية.. تضخم الاهتمام بالظاهر، والوسواس في الطهارة والنجاسة.. وهذا مما أدى إلى أن يحدث الانفصال بين الإسلام كرسالة إحياء وإنهاض وبين النتائج المترتبة على الأخذ به، أصبح المرء لا يرى معادلة ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[1]، ولا يرى معادلة (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).. وما من خلل في تلك المعادلة وإنما هو في فهم ذلك الدين العظيم، وطريقة أخذه، والنظر إليه.

وكما حصل ذلك الفهم الخاطئ بالنسبة للعبادات فقد حصل أيضا بالنسبة إلى دور الإنسان المسلم، بقسميه الرجل والمرأة، فإذا هما معطلان عن الدور، مهمشان عن الفاعلية. ولكن كان نصيب المرأة المسلمة أضعاف الرجل.. الحجاب الذي كان عِزّا للمرأة المسلمة أصبح بالفهم الخاطئ قيدا وغِلا. والطبيعة الخاصة بها والتي أهلتها الإرادة الإلهية بها لكي تتحرك حين يتعطل الرجل، بل لكي تدفعه حين يتوقف أصبحت مبررا للتوقف والجمود..

وكان لهذا الاتجاه الخاطئ رد فعل عنيف خاطئ، فقد انطلق دعاة (تحرير المرأة) في عالمنا الإسلامي متوهمين أن العقدة هي في تعاليم الدين، وتشريعاته، فإذا هم يعلنون الحرب على تلك التشريعات

---

(١)سورة الجن: ١٦

زاعمين أنها هي التي أنتجت امرأة عاجزة جاهلة، فإذن لا بد من التخلص من تلك التعاليم حتى تنطلق طاقاتها، وتحلق في سماء التقدم والرفعة. وقد أخطئوا التشخيص فأخطئوا العلاج.

لقد طالبوا بتعليم المرأة، ولكن الإسلام قد سبقهم في ذلك، فجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وطالبوا بأن تمارس دورها في المجتمع من خلال ترك الحجاب الذي تعرض لحملة ظالمة على أنه سبب تأخر المرأة، وما فطنوا أن المشكلة لم تكن في المظاهر حتى تعالج بالمظاهر من ترك الحجاب وإبداء الزينة والجمال وإنما المشكلة هي في الداخل، في الأعماق، في وعي المرأة بدورها الذي أعدت إليه، وفي ثقتها بنفسها بأنها الجزء الآخر الذي عليه مهمة إعمار المجتمع، وإصلاحه فـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وكما قلنا لأن تشخيص الداء كان خاطئا فقد كان العلاج قاتلا هذه المرة..انطلقت دعوات تحرير المرأة ـ كما قالوا ـ لتمارس حريتها فقط في نزع الحجاب وفي الاستلاب الثقافي، وفي التقليد للمستعمر..

انتزعت المرأة (المحررة) من هويتها وبيئتها، ومجتمعها، لتتخذ هوية جديدة وثقافة جديدة، وقدوات جديدة ولم تستطع أن تأخذ من كل ذلك غير القشور، واكتفت بالتقليد للمظهر ، فما صنعت حضارة ولا حازت تقدما، ولا حققت إنجازا.. لا تزال تعيش على الهامش، بلا دور إلا إتقان المظاهر.. أصبح تحرير المرأة ـ مع الأسف ـ مرافقا لعرض الجسد، والاهتمام بالشكل، وكان ينبغي أن يتم تحرير

(١)سورة النحل: ٩٧

عقلها من الخرافة، ونفسها من الاهتمام بالصغائر والمظاهر، وأن تنطلق في عملية بناء حقيقي للذات والقدرات حتى تشارك في بناء المجتمع من غير موقع الحقارة ومحاولة إثبات الوجود.

كان ينبغي بدل النظر إلى الشرق والغرب لكي تستجدي النماذج والقدوات، أن تنظر إلى تأريخها الحافل بالنساء اللاتي بنين من المجد هياكل، ومن التضحيات صورا، في العلم والعمل، وفي الجهاد والاستشهاد.. فما أبقين مجالا إلا وقد زينّه بمواقفهن..

وكربلاء شاهد.. وهل أصدق من الدماء في الشهادة؟ ولم يقصر دور المرأة فيها عن دور الرجال، فهي في مرحلة الإعداد للثورة، وحشد القوى وتنظيم الطاقات حاضرة، فهذه مارية العبدية في البصرة، تتحول دارها إلى محطة لتجميع القوى من البصرة للنصرة، فيجتمع فيها أهل الولاية والمنتمين إلى التشيع لكي يناقشوا أمور العمل والجهاد، ويلاحظ خطورة مثل هذا الأمر في بلد كالبصرة التي كانت مصنفة إلى ذلك الوقت على أنها مخالفة للتشيع، حتى أن أهل الجمل عندما أرادوا اختيار محل للبغي على أمير المؤمنين عليه السلام إنما اختاروا البصرة، لقلة أنصار التشيع فيها، لا سيما في الفترة التي سبقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام حيث كان الوالي عليها هو عبيد الله بن زياد الحاقد على أهل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم، ومن ذلك يعلم أن الإقدام على تشكيل اجتماعات وخلايا لنصرة الحسين، وتهيئة الأسباب والوسائل والدعم اللوجستيكي يعتبر عملا مخالفا بقوة للسلطة، ويعني ذلك أن يعرض القائم به نفسه لخطورة مواجهة السلطة الأموية.

ولكن هذه مارية منقذ العبدية كان يجتمع عندها ناس من الشيعة بالبصرة في منزلها وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفا

يتحدثون فيه[١].

وتلك الأخرى دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين، التي ربما لولا موقفها في إثارة الحماس لدى زهير زوجها في أن يأتي الإمام الحسين عليه السلام فيسمع منه، لربما كان زهير لا يزال أموي الهوى والموقف وعثماني الرأي كما كان قبل لقائه بالحسين عليه السلام، ولكن الموقف الحاسم الذي أبدته تلك المرأة الصالحة منح زهيرا فرصة الخلود مع الشهداء.

فهذا نموذج آخر للمرأة المسلمة التي تغلبت على عواطفها ومشاعرها في التمسك بالزوج، وتقديم النصيحة والتشجيع له في ممارسة الإصلاح، وهي بذلك تعلن بوضوح أن من الممكن أن تصنع المرأة من زوجها بطلا، وأن تمنحه الخلود بموقفها، وبالتغلب على العواطف الباردة لصالح خدمة المجتمع، وتغييره.

ويتواصل العطاء مترقيا، والبر متصاعدا حتى يعلو كل بر، فإنه (فوق كل برٍّ، برٌّ حتى يقتل المرء في سبيل الله فليس فوقه برٌّ)، لقد أرادت نساء الإسلام أن يرين من بعدهن أن بإمكان المرأة أن تصعد، فلا تكون أسيرة للمكياج والجسد، ولاهثة وراء المظهر والرواء الفارغ..بل أن تصل إلى مراتب الشهداء، بموقفها وعملها، فإنه (ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها).

أم وهب ، زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، مارست الدورين فهي من جهة قد أعانت زوجها على الخير، وهيأت له فرصة اتخاذ القرار الصائب، وساعدته على تلمس الطريق الصحيح وهي حجة بذلك على الكثير من النساء اللاتي يقنعن بالقليل والدون في الدنيا، في أنفسهن، ويمنعن أزواجهن وأبناءهن عن اختيار الطريق المناسب..

(١) مقتل الحسين للأزدي / ١٧

ألم ينقل لنا التاريخ صورا سيئة لمثل تلك النماذج في الكوفة من النساء اللاتي كن يأتين إلى أبنائهن فيأخذن بأيديهن مخذلات ومثبطات: ما لنا والدخول بين السلاطين؟ غدا يأتي جيش الشام..غيرك يكفيك، لا تلق بنفسك إلى التهلكة..إلى آخر قائمة الأعذار والكلمات المهزومة..

هذه المرأة الصالحة عندما عرض عليها زوجها أنه يريد نصرة الحسين عليه السلام، ومعنى ذلك أنها تترمل بعده، لكن وعي هذه المرأة دفعها لتشجيع زوجها قائلة له: أصبت أصاب الله بك وأرشد أمورك..افعل وأخرجني معك.. ثم لم تكتف بذلك حتى خرجت معه في المعركة وهي تقول: لن أدعك دون أن أموت معك.. وكانت نيتها صادقة صافية صفاء بصيرتها، فكتب لها الله الشهادة إلى جانب الحسين عليه السلام وهي أول امرأة استشهدت في كربلاء.. ماذا يقول عنها التاريخ في تفاصيل الموقف العظيم وفي الشهادة الدامية؟

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بني عليم كان قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد من همدان دارا وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد. فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين.. فسأل عنهم فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا واني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين.

فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل وأخرجني معك.

قال: فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا فأقام معه فلما دنا منه عمر

بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا: من يبارز ليخرج إلينا بعضكم. قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير فقال لهما حسين: اجلسا.

فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبد الله رحمك الله ائذن لي فلأخرج إليهما فرأى الحسين رجلا آدم طويلا شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين فقال : إني لأحسبه للأقران قتّالا اخرج إن شئت.

فخرج إليهما فقالا له: من أنت فانتسب لهما فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن خضير ويسار مستنتل (متقدم) أمام سالم.

فقال له الكلبي: يا بن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس؟ ما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد فانه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم.

فصاح به: قد رهقك العبد قال فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة فاتقاها الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله.

واقبل الكلبي مرتجزا وهو يقول وقد قتلهما جميعا:

إن تنكروني فأنا بن كلب

حسبي ببيتي في عليم حسبي

إني امرؤ ذو مرة وعصب

ولست بالخوار عند النكب

إني زعـــــيم لـــــك أم وهــــــب

بـــالطعن فـــيهم مقـــدما والـــضرب

ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب امرأته عمودا ثم أقبلت نحو زوجها تقول لـه: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد. أقبل إليهـا يردهـا نحـو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالـت: إني لـن ادعـك دون أن أمـوت معك!

فناداها الحسين فقال: جُزيتم من أهل بيت خيرا ارجعي رحمـك الله إلى النساء فاجلسي معهن فانه ليس على النساء قتال فانـصرفت إليهن..[(١)].

وكانت هذه المرأة قد نفضت يدها من تـراب الحيـاة، وعلائقهـا فالذي يمشي في طريق الإله يكون أحب شيء إليه الإسراع في لقاء الله «ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفـة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب، عظم الخـالق في أنفـسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[(٢)]..

هي أيام يصطرع الناس على إبقائهـا وهـي غـير باقيـة، يرونهـا دائمة وهي تمر مر السحاب، السعيد فيها من اختار منـها مـا يبقـى ويبقي له الذكر الخالد، والشقي فيهـا مـن يتعلـق بـصغائر الأمـور فتعظم في عينيه، وتتلخص حياته فيها، فيخـسر..أمـا الـذين عظـم الخالق في أعينهم، وعايشوا الجنة فهم فيها منعمون، فإنهم يـسرعون

---

(١) المصدر السابق ١٢٣

(٢) نهج البلاغة

الخطى إلى حيث ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[١]، ما أن استشهد عبد الله بن عمير زوجها، حتى خرجت إليه يزغرد قلبها فرحا، وتطير بأجنحة الشوق إليه سرورا، وجلست عنده تمسح الدم والتراب عنه، وتقول: هنيئا لك الجنة!

أحد الصغار واسمه شمر بن ذي الجوشن، صغير الهمة، وداني الوعي، ومنعدم الأخلاق، وهذه الصفات (أهلته) لكي يرتكب عظيم الجرائم، وهل يرتكب عظيمَ الجرائم إلا صغارُ النفوس؟ أمر غلاما له يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود!! وفعل العبد ما أمر به العبد الآخر، فشدخ رأسها بعمود فماتت مكانها![٢]

هنيئا لكِ الجنة يا قمر.

---

(١) سورة طـه: ٨٤

(٢) مقتل الحسين للآزدي ص ١٤١، وعنه نقل أطراف الحادثة الطبري، وابن كثير وابن الاثير وغيرهم.

# مارية بنت منقذ العبدية

كانت موجودة إلى زمان شهادة الحسين عليه السلام

يعيش الإنسان ضمن مجموعة اجتماعية، ويفرض عليه ذلك ـ في العادة ـ اللقاء مع أفرادها والتباحث معهم في أمور مشتركة، وقضايا تلفت انتباههم. وربما كانت هذه اللقاءات التي تتبلور في بعض المجتمعات في صورة مجالس دائمة، يقصدها أبناء عائلة أو طائفة أو صنف، أو منطقة جغرافية، من مكونات الوعي الاجتماعي العام، لما يتم تبادله فيها من آراء واهتمامات، فتؤثر في ثقافة قاصديها واهتماماتهم حتى من دون أن يشعروا بذلك أحيانا بل غالبا.

ولهذا فقد تناول الإسلام دور المجالس هذه ودعا إلى الحضور في المجالس والتجمعات التي تنتهي إلى زيادة معرفة، أو تحمل مسؤولية، أو رقي أخلاقي، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها! قيل: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس المؤمنين. وفي رواية أخرى: مجالس الذكر!

وأوصى لقمان الحكيم فقال: اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوما يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم فإنك إن تكن عالما ينفعك علمك ويزيدونك علما، وإن كنت جاهلا علموك، ولعل الله يصلهم برحمة فتعمك معهم.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: من جلس مجلسا يُحيي فيها أمرنا لم

يمت قلبه يوم تموت القلوب[1]. وأكد الدين على ضرورة أن يكون الجليس نافعا ومفيدا.. ففي الخبر عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن عيسى بن مريم: أنه سئل: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم اللهَ رؤيتُه، ويزيد في علمكم منطقُه، ويرغبكم في الآخرة عملُه.

وحذر من المجالس التي لا هدف فيها، حيث تزيد الإنسان غفلة فوق غفلته، وتبعده عن شأن أخراه ودينه، إلى شؤون لا تعنيه، فعن الإمام الصادق عليه السلام : ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله فيه ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة.

ونهى عن مجالس الظالمين والفاسقين والعابثين فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسب فيه إمام أو يُغتاب فيه مسلم، إن الله يقول في كتابه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]».

❁❁❁

وبالرغم من هذه التوجيهات الدينية الصريحة، وما تفرضه التجربة وتهدي إليه من أن المجالس إذا كانت جادة هادفة، فإنها تعود على المجتمع بخير كثير، فكم وجدنا منافع من تلك المجالس التي تجمع أهل الرأي والمعرفة والفكر والاهتمامات الاجتماعية العالية، وتناقش فيها أمور البلاد وأحوال الناس، وتنبثق منها مشاريع عمل، وخطط تقدم لأبناء المجتمع.

ومجالس أخرى فارغة، لا موضوع لها ولا هدف، لا تنفع إن لم

---

(١) الحديث وما قبله من ميزان الحكمة ج ١/ ٣٩٨

(٢)سورة الأنعام: ٦٨

تضر، بل في الغالب يحدث الثاني، فإن مجلسا لا يزداد فيه الإنسان هدى ولا ينقص من ضلالة، ولا يبعثه لترتيب أمر معاشه أو معاده، لهو مضرة واضحة إذ لا يتوقف الزمان، ولا يستعاد العمر، فتمضي الأيام، وتذهب السنوات، ولم يحصل صاحبنا إلا على ضحكة من هنا، وسخرية هناك.. بل إننا نجد أن كثيرا من المشاكل الاجتماعية تحصل في مجتمعنا على أثر انقطاع الرجل إلى تلك المجالس مهملا أسرته، فها هو قد أتى بيته قرب الغروب من العمل ليخرج بعد الغروب إلى السهرة، ومجالس غير هادفة.. فتبدأ المشاكل بينه وبين زوجته، ويبتعد عن توجيه أبنائه وبناته.

كل ذلك بزعم أنه يقتل وقت الفراغ وهو واهم فإنه هو الذي يُقتل، ذلك أن الوقت والعمر كالسيف إن لم تقطعه بالعمل المنتج المثمر، قطعك باستنفاذ مخزونك من السنوات.

ولا يقتصر الأمر على الرجال بل إننا نجد أن مجالس (البطالين كما في الدعاء) عند النساء لو لم تكن أكثر فليست بأقل. مجالس اللغو، والهذر وعدم الإنتاج.. حديث الفساتين والموضة، والعطور، والمكياج، و.... حتى لقد بات يُتعجب من وجود مجلس نسائي جاد يتحدث في أمور هادفة، ويناقش قضايا المجتمع، ويسعى لتقديم صورة أخرى على خلاف المألوف عن المجالس النسائية.

ونحن لا نرى أن هذه الصورة هي الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة، فإنها كانت الدافع المؤثر لحركات التغيير، والشاحن العاطفي لانطلاقات الخير، كما تشهد بذلك سيرة خديجة وفاطمة، ونساء أنصار الحسين في كربلاء، دلهم زوجة زهير، وأم وهب ، وزوجة حبيب، وغيرهن .. من تلاحظ سيرهن في هذا الكتاب.

ولا نرى أن المجالس الطبيعية للمرأة المسلمة هي مجالس اللغو والهذر، والهامشية بل كثيرا ما كانت مجالس العلم والفضيلة، بل

والجهاد كما كان مجلس المرأة المجاهدة مارية بنت منقذ العبدية، التي كان لها مجلس في البصرة في الوقت الذي أعلنت فيه الأحكام العرفية وحالة الطوارئ مع بدايات حركة الإمام الحسين عليه السلام، وكان الإقدام على أي تجمع من هذا القبيل يعد عملا معارضا يحتاج إلى قوة قلب عالية وإيمان بالمبدأ، وإصرار عليه مهما كانت النتائج. وكان ذلك المجلس محلا لاجتماع شيعة أهل البيت وفيه يتناقشون أمورهم المختلفة.. ولا يذهب ببالك أن المجلس كان مجلس زوجها فإنها كانت أيّماً لا زوج لها. ومن ذلك المجلس انطلق ستة من قُدّر لهم أن يكونوا شهداء مع الحسين عليه السلام.. هذا مع أن إخوتها كانوا في المعسكر الآخر، معسكر بني أمية. ولنكن مع البداية..

**مع أسرتها عبد القيس**

سكنت عبد القيس المنطقة التي تعرف اليوم بالقطيف (وكانت تسمى سابقا بالخط وإليها تنسب الرماح المعروفة) والبحرين، ولما جاء الإسلام أشعلت العرب الأرض نيرانا تحت قدمي رسول الله صلى الله عليه وآله رافضين للدين، ولكن﴿يَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ فـ ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وأسلم عبد القيس طواعية، عندما كتب الرسول صلى الله عليه وآله إلى المنذر بن ساوي العبدي وهو واليها عن ملوك فارس بالدخول في الإسلام أو دفع الجزية سنة ٦ هـ فأجابوا دعوة الرسول، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾.

أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله العلاء الحضرمي الذي صار واليا من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، واستجابوا له. ثم قدم كبارهم وأهل الحجى فيه على الرسول سنة ٧ هـ. واستقبلهم رسول الله بما نقل أنه قال: «ليأتين ركب من قبل أهل المشرق لم يُكرهوا على الإسلام» وفي ذلك إشارة واضحة إلى مثل قريش التي لم تسلم راغمة حتى جيشت الجيوش

على النبي وانكسرت في صراعها معه[١]. ولما أقبلوا دعا لهم قائلا «اللهم اغفر لعبد القيس».

كان من طالع الخير لعبد القيس أنها من اليوم الأول كان عليها ولاة وعاة على خط أمير المؤمنين عليه السلام مثل العلاء بن الحضرمي، ثم أبان بن سعيد بن العاص[٢]. واستمر ذلك في فترة حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مما غرس في أنفسهم حب علي عليه السلام، وعرفهم حسن الانتماء إليه. وتولى عليها بعدهما من لم تزد سيرته عبد القيس إلا بصيرة بإمامهم من باب (وبضدها تتميز الأشياء).

وفي زمن أمير المؤمنين ولاها عمر بن أبي سلمة، فدائي الإمام، والذي كان عند حسن ظن أمه أم سلمة في غرس الولاء الصادق

---

(١) العجيب أن قريشا كان ينبغي أن تطاطئ برأسها خجلا بعد الانتصار النبوي، لأنها كانت العقبة الأولى أمام الدعوة، ولم تلق السلاح إلا بعد أن نصر الله النبي عليها، لكن ما لبث أن توفي رسول الله حتى عادت صفة (القرشية) مفخرة، بينما هي بحسب المواقف مسبة ! وإذا بها تعيد كيل العداء لأهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم الزهراء وأمير المؤمنين كما يظهر من تشكيه الدائم واستعدائه الله عليها .

(٢) أبان بن سعيد بن العاص الأموي، بالرغم من أن أباه لم يكن سعيدا وبقي أمويا، حتى قتل على الكفر بسيف أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن ابنه أبان والآخر خالدا كانا مصداقا لقول الله (يخرج الطيب من الخبيث) وكانا على خط أمير المؤمنين عليه السلام وهما يخاطبانه بعدما تأخر علي عليه السلام عن قبول ما جرى في السقيفة «إنكم ـ يا بني هاشم ـ لطوال الشجر طيبوا الثمر ونحن تبع لكم» يراجع أحوال خالد بن سعيد في رجال حول أهل البيت للمؤلف .

لأهل البيت عليهم السلام إلى أن خرج مع أمير المؤمنين في حرب الجمل.

هذا الولاء الصادق، وتلك الشجرة الطيبة المباركة التي غرسها الرجال المخلصون في ولاء أمير المؤمنين والسائرون على نهجه، آتت أكلها سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ . فازدانت مواقع أمير المؤمنين سلما وحربا برجال عبد القيس، فهاهم أبناء صوحان، صعصعة وسيحان وزيد.. وحكيم بن جبلة وغيرهم.. ولا سيما في حرب الجمل حي ثكانت لعبد القيس رايتان،: عبد القيس من أهل البصرة، عبد القيس من أهل الكوفة[١].

«وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم فقتل وقتل معه زيد بن صوحان وسيحان بن صوحان، وأخذ الراية عدة منهم فتلوا منهم عبد الله بن رقبة وراشد ثم أخذها منقذ بن النعمان..»[٢]

ومنقذ بن النعمان هذا هو والد مارية التي نتحدث عنها. فقد ورثت التشيع من أسلافها العبديين[٣]، ومع أنه لا توجد معلومات

---

(١) ليس في المصادر تفصيل لحركة الانتقال لدى القبائل المسلمة من مكان لآخر، ولكن يظهر من هذا النص وغيره أن عبد القيس كان لهم وجود كبير في البصرة، ومقدمات حرب الجمل تشير إلى مواجهات بينهم وبين أنصار الجمل . وكذلك الحال في الكوفة حيث كان لهم خِطة جغرافية ومسجد يسمى باسمهم . وربما بقي بعضهم في البصرة بينما انتقل القسم الآخر إلى الكوفة أو العكس ..

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٨ ـ حوادث سنة ٣٦

(٣) لتتبع تاريخ التشيع في المنطقة (القطيف والأحساء) راجع كتاب شيعة القطيف والاحساء : عراقة الماضي وتطلعات المستقبل : للمؤلف

كافية عن والدها، إلا أنه يظهر له دور في حرب الجمل وأنه كان حامل راية عبد القيس. ولكن هذا لم يكن المقوم الأساس في حياة مارية، ذلك أننا نجد سائر إخوتها رضي بن منقذ، ورجاء ومرة[1] كانوا على حال سيئة وانتهى بهم الأمر إلى معسكر بني أمية.هذا معنى الوعي والاختيار، فمع أن إخوتها اتجهوا إلى الدنيا لكنها آثرت الآخرة.

❁❁❁

لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من مكة المكرمة مبتدئا منها ثورته التغييرية بدأ ببعث رسله ورسائله إلى مختلف المناطق، فأرسل إلى شيعته من أهل البصرة كتابا يخبرهم بذلك «أما بعد.. فإن الله اصطفى محمدا على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه..وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت

---

(١) مرة بن منقذ هو قاتل علي الأكبر بن الحسين عليهما السلام، فقد نقل حميد بن مسلم أنه لما رآه يفتك بالجيش قال : علي آثام العرب إن مر بي وهو يصنع ما يصنع، ولم أثكل أباه به .. وبالفعل فقد كان علي الأكبر يطرد كتيبة أمامه، فجاءه مرة من خلفه وضربه بالسيف على رأسه . ورضي بن منقذ حمل على برير بن خضير الهمداني شيخ القراء في الكوفة واعتركا فأعان كعب بن جابر رضيا وطعن بريرا بالرمح وقتله . ورجاء بن منقذ كان من العشرة الذين وطؤوا جسم الحسين عليه السلام بخيولهم . وقد تتبعهم المختار رضوان الله عليه فما بقي منهم أحد بعد سنة ٦٧ هـ

وإن البدعة قد أحييت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..».

وبينما قام أحد الجبناء وهو المنذر بن الجارود بتقديم الرسول إلى عبيد الله بن زياد، زاعما أنه خشي أن يكون دسيسا من عبيد الله.. وكان نتيجة ذلك أن قتل الرسول، إلا أن شيعة أهل البيت بعد وصول الخبر، اجتمع عدد منهم في مجلس مارية المذكور وكان مألفا لشيعة أهل البيت يتحدثون فيه في ما يهمهم من أمور دينية وغيرها. وتناقشوا في أمر حركة الإمام الحسين عليه السلام تلك، وما الذي ينبغي فعله، فكان أن انطلق من ذلك المجلس ستة من أنصار أهل البيت عليهم السلام.

قال أبو مخنف، وذكر أبو المخارق الراسبي فقال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة منقذ[1] أياما، وكانت تتشيع، وكان منزلها مألفا لهم يتحدثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبالُ الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق.. فأجمع يزيد بن نبيط ـ وهو من عبد القيس ـ الخروج إلى الحسين وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج.. فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد. فقال: إني لو قد استوت أخفافها بالجَدَد (الطريق الرملي) لهان علي طلب من يطلبني.

ثم خرج فتقدى (أي لزم جادة الطريق) حتى انتهى إلى الحسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسينَ مجيئُه فجعل

---

(١) ذكر الطبري اسم ابيها مرددا بين كونه سعدا أو منقذا، والصحيح هو ما أثبتناه .

يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقيل له قد خرج إلى منزلـك، فأقبل في أثره، ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالسا، فقال ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، فسلم عليه وجلس إليه فخبره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه، وقتل هو وابناه[1].

المجالس كثيرة.. ولكن شتان بين مجلس لا يصعد منه إلا الهباء والهباب، ولا يسوده إلا اللغو واللهو، ولا ينتج إلا النميمة والسخيمة.. وبين مجلس يصنع الشهداء، ويُنصر فيه خط الأنبياء.

(١) الطبري ٣/ ٢٧٨

## دلهم بنت عمرو

كانت موجودة إلى سنة ٦١ هـ

«خار الله لك أسالك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين»

تعيش المرأة في علاقتها مع زوجها حالة من حالات متعددة، فهي إما أن تكون تابعة بالكامل له في ثقافتها وفكرها وطريقة حياتها، وترى أنها لكي تحمي ذلك الكيان الأسري فلا بد لها من الانسجام مع هذا الزوج. خصوصا أن الخيارات الأخرى ليست الأنسب، لأدائها إما إلى الطلاق، أو التوتر في داخل البيت.

وقد لا تكون كذلك وإنما تستطيع أن تستقل بنمط من الحياة وإن كان يختلف عما يؤمن به الزوج وتكون لديهما القدرة على التعايش ضمن نمطين من الحياة بحيث يكون كل منهما قد اختار طريقه الخاص به، من دون أن يؤثر الآخر فيه أو يقسره على سلوك لا يرتضيه.

وقد تؤثر المرأة في زوجها ـوهو قليلـ بحكم الأوضاع الاجتماعية والثقافية التي تحكم المجتمع.

إننا في الغالب نلتقي بمظاهر عن الحالة الأولى وهي أن الزوج هو الذي يعين الاتجاه، وتبرز المشكلة عندما يكون الزوج غير مستقيم والزوجة صالحة، أو يكون غير مؤمن والزوجة متدينة.. فكثيرا ما يستخدم الزوج ـ في هذه الحالة ـ حضوره القوي في التأثير على مسار زوجته فيلقيها في حياة العبثية أو البعد عن الإيمان. فكم من

النساء تتساءل عن موقفها عندما يضطرها زوجها إلى إلقاء الحجاب الإسلامي، ويدفعها إلى ما يخالف ثقافتها والتزامها، وماذا تصنع خصوصا لو كان لهما أولاد، وكان ثمن الرفض والمخالفة لأوامر الزوج أحيانا الانتهاء إلى الطلاق؟ ماذا تصنع عندما يدفعها زوجها ـ بزعم أن عادات عائلتهم هي هكذا ـ إلى التكشف مثلا أمام إخوانه وأصهارهم،وأن عليها أن تنسجم مع تلك العادات، لكيلا تكون منبوذة، أو تعرف بأنها (معقدة)؟

ماذا تصنع حتى في الحالة الثانية لو كان زوجها يمارس الانحراف الأخلاقي والديني حتى لو لم يدفعها إليه؟ ما هي مسؤوليتها معه وهو يشرب الخمر في البيت، أو يستعمل المخدرات مع أصحابه أو يسوّقها في المجتمع؟

ماذا لو كان الزوج يعيش من ثمن إيقاع المؤمنين في شراك أعدائهم، ويبني عظام أولاده وزوجته من أكل لحم غيرهم، وتدمير مستقبل الآخرين..ماذا تصنع؟ وإلى أي مقدار تستجيب؟

إن كثيرا مما يلاحظ من مشاكل يرجع ـ في قسم من أسبابه ـ إلى عدم تبين الدور الذي ينبغي أن تقوم به المرأة في هذا المجال.. هل يصح منها أن تكون سلبية إلى الحد الذي تفقد فيها إيمانها ـ وهو حياتها الحقيقية ـ لأجل الحفاظ على حياتها الزوجية؟ وأيضا إلى عدم معرفة مقدار الحق الواجب[1] على الزوجة في طاعة زوجها..

---

(١) يتفق علماؤنا على أن على الزوجة للزوج حق التمكين والاستمتاع الجنسي، فيجب عليها في هذه الجهة أن تستجيب له في ما يطلب وهذا أمر اتفاقي، وهناك حق آخر هو عدم خروجها من بيته إلا بإذنه، وهنا المسألة خلافية بين قائل بعدم جوازه مطلقا إلا بإذنه، وقائل بعدم جوازه إذا كان منافيا لحقه في الاستمتاع .. وأما غير ذلك

ونظرا لحساسية دور الزوجة المؤمنة في صمودها أمام ضغوط زوجها المنحرف، فقد (جلّى) القرآن الكريم، موقف آسية بنت مزاحم زوجة فرعون التي تحدّت ـ في عمل بطولي ـ تعالت فيه على شهوات الدنيا التي كانت تجري بين يديها، وزخارفها تلك التي يتنافس عليها ﴿مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾، كما صمدت في وجه عذاب فرعون، حتى أوصلها ذلك إلى أن كانت مثلا لأهل الإيمان على مر الأزمان ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١). وإذا كانت آسية قد قاومت إغراء وتهديد فرعون فصارت مثلا في القرآن يتلى ـ وهو عمل عظيم دون ريب ـ فإن تغيير بعض النساء لتوجه أزواجهن وإخراجهم من خط الزيف إلى خط الحقيقة، ومن وهدة التخلف مع القواعد إلى ذروة القتال مع ابن رسول الله، ومن الهروب إلى الإقدام، لهو عمل عظيم جدا.

امرأة قالت كلمة فكانت ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾. دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين، قالت كلمتها في الوقت المناسب فكان هذا المصير الرائع الذي أهدته إلى زوجها وهدت إليه زوجها.

كلمة.. وما أدراك ما خطر الكلمة؟ وما يدريك ما دورها؟ فـ «ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة يزيده الله بها هدى أو يرده عن ردى» كما يقول الرسول الكريم ﷺ. و « أفضل الجهاد

---

فيما يأمر به ويطلب طاعته فيه، فلا يلزم عليها من خلال حق الزوجية

(١)سورة التحريم: ١١

كلمة حق عند سلطان جائر» و « أوثق العرى كلمة التقوى». وعندما جاء كبار قريش للنبي ليمنعوه عن تبليغ رسالة الله قال لهم «هل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم العجم؟ قالوا: إنها لكلمة مربحة نعم وأبيك لنقولنها وعشر أمثالها..فقال لهم: قولوا لا إله إلا الله..».

وهي كلمة لو قالوها لحصلوا على ما وعدهم النبي ولكنهم نفروا منه.

الكلمة الطيبة التي تأتي في الموقع المناسب هي بمثابة كلمة السر التي تفتح للإنسان دخول عوالم من الكمال والرقي، وبدونها كان يمكن أن يبقى ككثير غيره يتمنى الدخول من دون معرفة الطريق..

وقد فتحت دلهم لزوجها طريق الكمال والشهادة والجنة، عندما أعطته كلمة السر فدخل بواسطتها البوابة الحسينية. كيف؟

ها هو زهير بن القين يشارك في الغزوات والفتوحات التي كانت تجري على أطراف العالم الإسلامي، وجاءت سنة ٢٥ هـ، وأرسل جيش من المسلمين إلى ما وراء فارس مما يعرف ببلاد الخزر، وكان على رأس ذلك الجيش سلمان بن ربيعة الباهلي(١) وكان قبلها قاضي الكوفة، إلى وصل إلى بلنجر وفتحها وفرح المسلمون بما أصابوا من الغنائم المتنوعة والثمينة فقال القائد سلمان لهم: فرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقالوا:نعم. قال: إذا أدركتم قتال شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معهم مما أصبتم اليوم من الغنائم.ثم تقدم لفتح غيرها ولكنه استشهد في تلك المعركة.

وزهير بن القين الذي كان إلى ذلك الوقت عثماني الهوى

---

(١) قال عنه ابن سعد في الطبقات : ثقة قليل الحديث

والانتماء، وبعيدا عن الانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام، سمع ذلك الكلام ولم يؤثر فيه إلا بمقدار ما انطبع في ذاكرته من دون أن يؤثر في سلوكه السياسي والاجتماعي العام.. ولذلك بعدما رجع مرة أخرى إلى الكوفة بقي محافظا على انتمائه الاجتماعي والسياسي..وحتى عندما تحركت الكوفة في اتجاه الحسين عليه السلام.

ـعلى اختلاف دوافع ذلك التوجهـ بقي زهير بعيدا عن ذلك، بل قام بالهروب إلى الأمام، متصورا كما يظن البعض أن الهروب الجغرافي أو النفسي سيجعل الإنسان في راحة من الصراع وتعيين الموقف.. وأن (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) في معركة الحق والباطل هو الحل الأمثل، ويخطئون في ذلك.. فكم يستطيع الإنسان أن يهرب وإلى متى؟ إن حلبة هذا الصراع أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، فهي تدور في قلبه وضميره قبل أن يشارك فيها على أرض الواقع.

على هذه الخلفية كان زهير بن القين لا يريد اللقاء بالحسين عليه السلام مع أن الطريق يقضي عليهم بالاجتماع، فكان يتخلف إذا سار الحسين، ويسير إذا تخلف لأنه لم يكن أبغض عليهم من مسايرته، إلى أن اضطروا إلى النزول على ماء سوية، ولم يجدوا بدا من البقاء، ولكنه بقاء غير الراغب في اللقاء، فنصبوا خيامهم بعيدا عن محل نزول الحسين عليه السلام.

يقول أحدهم[1]:.. فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير..

---

(١) ذكر أطراف اللقاء أبو مخنف الأزدي في المقتل ونقل عنه الطبري في تأريخه .

ها هو يواجه الصراع الذي هرب منه وتخفى!! لم تنفع إذن محاولات دفع الأمور إلى الإمام وتأجيل البت فيها، وتأخير القرار.. ماذا يصنع؟ كل هذه السنوات وهو في حالة هروب.. وهاهو يصطدم بما كان قد هرب منه وجها لوجه.

هنا تنفع الكلمة الطيبة، هنا تحيا النفوس وقد تموت!! هنا يكون الخيار بين الشجرة الطيبة المثمرة، وتلك المجتثة من الأرض والتي لا تنتج غير الرماد!!

كثيرا ما يتوقف التحول الكيميائي على شيء (كتيار كهربائي) حتى يخلق من الغاز والهواء المبعثر في الأفق ماء تحيا به الأرض بعد موتها.. وكان التحول في نفس زهير متوقفا على ذلك التيار الضوئي وكانت كلمات دلهم زوجته، ذلك التيار. كانت الحزمة الدافعة التي حركته بالاتجاه الصحيح. وكانت أفضل هدية قدمتها إليه في حياتهما المشتركة التي ربما استمرت قرابة أربعين سنة هي تلك الكلمات..

قال أبو مخنف فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟؟ سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت.

فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشرا قد أسفر وجهه..

لقد انتهى الصراع وحُسم، وتلك الغمامة التي كانت تحجب إشراقة الوجه، والكدر الذي كان انعكاسا للصراع الداخلي المستمر، قد تغير إلى وضوح تماما كما هو وضوح الموقف.

قالت دلهم: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين. وقد رافقه في ذلك سلمان بن مضارب البجلي.

ثم قال لامرأته أنت طالق الحقي بأهلك فاني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير ثم قال لأصحابه من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه

آخر العهد إني سأحدثكم حديثا غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان الباهلي أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم فقلنا نعم فقال لنا إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم فأما أنا فإني أستودعكم الله.

كان الوداع ساخنا بينها وبين زوجها.. مثلما كان الصراع بين قلبها وعقلها، قلبها يريد الاحتفاظ بالزوج والبقاء معه ولو أدى ذلك إلى بقائه هاربا (من الحق) ولو أدى إلى أن يخسر هذه الفرصة التي لا تعوض. من تستطيع أن تهدم (عزها) بيدها، وتقدم له النصيحة لكي يستشهد فترث منه الثكل والترمل؟ من تقدم على أن تفتح ملف أحزانها بيدها؟ كيف تستطيع أن تركل بقدمه كل الذكريات؟ وتمسح شريط أربعين سنة من العيش المشترك؟ هذا ما كان يقوله قلبها.

وعقلها ذلك الواعي ينير لها دروبا أخرى من البصيرة، الموت حق وإن لم يأت هذا اليوم فسيأتي غدا. وإذا كانت لا تستطيع القتال كما الرجال فالكلمة موقف وتسهيل طريق الجهاد والاستشهاد للزوج جزء من الجهاد..

ـ خار الله لك يا زهير أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين!

كانت هذه الكلمة إنهاء لما يعتمل في النفس من الأسى والشجن، ما دمت قد اخترت هذا الطريق فهو نعم الخيار، وسينتهي بك إلى لقاء النبي ﷺ، فاذكر لي هذا الموقف فأنا شريكة فيه، أنا جزء المعادلة..

# المحتويات

# المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، در صادر، بيروت.

٣. ابن قتيبة الدينوري، الأخبار الطوال، منشورات الشريف الرضي، قم.

٤. ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين.

٦. الأمين: محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت.

٧. الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، الطبعةالأولى ١٤٠٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

٨. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٩. فوزي: محمد، من قضايا النهضة الحسينية، دار محبي الحسين، قم.

١٠. المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف.

١١. المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

١٢. الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

## للمؤلف

١. طلب العلم فريضة
٢. الهجرة مستقبل أفضل
٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد
٤. مفهوم التقية في الإسلام
٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت
٦. بناء القادة في منهج أهل البيت
٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت
٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية
٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت
١٠. رجال حول أهل البيت ( جزءان)
١١. نساء حول أهل البيت
١٢. من قضايا النهضة الحسينية ( ١ـ ٣)

لاقتراحاتكم وآرائكم يمكن الاتصال بالمؤلف

www.al-saif.net

fawzialsaif@hotmail.com